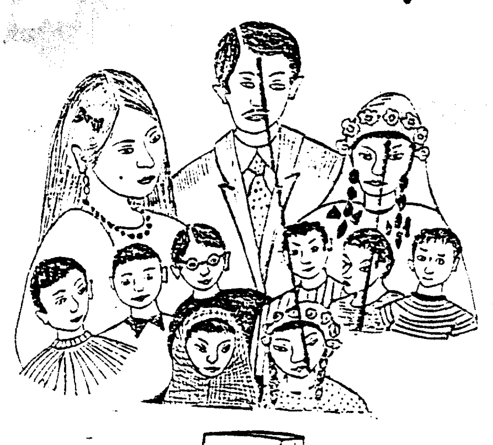
مقر ثقافة بورفؤاد
إلى أستاذنا الفاضل
محمد الغزي مع فائق تحياتي

أبناء العم وسام





الجزء الثالث

الكمبيوتر والاتاري

رواية عادل القنصل

أبناء العم وسام
الجزء الثالث

٢٠٠٥/١/٣١

ماتا..اغتيلا على أياد مصرية..بطل المعركة وأحد جنودها الذي فقد أغلى ما عند الإنسان..الإحساس بالحياة..بالرجولة..كان حياً وميتاً في نفس الوقت..ظلمته زوجة "همام" عندما أحالت عليه شقيقه ليزوجه بـ "أحلام"..التي لم تطق الحياة مع إنسان يعيش معها ميتاً..فالموت النفسي لم يكفها..بل أماتته مادياً..ومحت اسمه من على الوجود..هي و"فريد" في دهاليز النيابة..تحقيقات لا تنتهي للوقوف على الحقيقة..هل "فريد" هو الذي دفعها لقتله؟!.

ذهبوا جميعاً إلى بلدهم بالزقازيق..مقبرة لم يدخلها أحد من أفراد العائلة الرجال سوى الجد والعم "وسام"..فالأب والعم ماتا ولم يعثروا على جثتيهما..أبعد التربي بقايا الجسدين واستقبل جسد الشاب وواراها..كان وكأنه لم يكن..

٢

استقبلوا المعزين في سرادق ضخم نُصب أمام بيت همام الجديد..هو

وشـــقيقه "بســـام" وأبـــناء عمه "منير" و"سمير"..جلسوا في مقدمة السرادق يتقبلونالعزاء..مع الفجر انفض العزاء وذهب كل إلى حال سبيله.

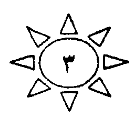
كـــان "مـــنير" و"سمـــير" قلقـــين علـــى مصـــير شـــقيقهما "فريد"..مسكين..دائماً تُنصب له الفخاخ..ما إن يخرج من موضوع إلا ويدخل في آخر دائماً تنتهي به الحال خلف قضبان السجون.

"همـــام" يحمل في قلبه قسوة لم تكن من قبل تجاه "فريد" وتجاه زوجته "إلهام"..عند وصولهم إلى المترل قال لها في غيظ:-

- أنا ممكن كنت أسيبك في الزقازيق بس قلت كفاية فضـــايح..من بكرة الصبح تلمي هدومك اللي أنا اشـــتريتهالك وترحلـــي..وهتوصـــلك ورقـــة طلاقك..فاهمة يا إلهام.

ظلـــت تصرخ وتولول..ما ذنبها..هل هي التي حثت "أحلام" على قـــتل "تمام"..هي تعرف سر حبها لـــ "فريد" وكرهها لـــ "تمام" هل كـــان مـــن الـــواجب أن تحيط "همام" علماً بما كان يدور في رأس "أحـــلام" وتكـــون هـــي سبباً في خراب البيوت..فكان بيتها أيضاً خرباً..ظلت تسب "أحلام" وتلعن نفسها لأنها أكرهتها على الزواج

من "تمام".



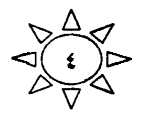
اعترفت "أحلام" أن "فريد" لم يكن له يد في مقتل "تمام"..كان دافعها لذلك حبها لـــ"فريد"..حبها الذي كان.

خرج "فريد" من الحبس الاحتياطي وهو منهك القوى..لم يعد يقوى على الدخول في مواقع جريمة أخرى..مواقع لم يكن أحد جنودها.

توجه إلى الزقازيق..هناك في المكان الذي كان يختلي فيه بنفسه..قابل "إلهام" صدفة فرجته أن يتدخل لدى "همام" لكي يردها..لكنه قال لها في تأكيد:–

- إنـــتم التلاتة دخلتم عيلة وسام غلط..لا انتم من توبنا ولا احنا من توبكم.

ظلـــت تبكـــي وتتوســـل إليه ولكنه لم يستجب لها..ثم عاد مساءً للقاهرة..دخل حجرته وانفجر في البكاء..يبكي ابن العم "تمام" فقد تحجرت الدموع في عينيه حال مقتله الذي جعله يفقد توازنه.



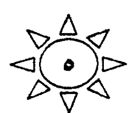
في الجريدة قابله "سامي" بترحاب بالغ وظل يضحك وقال:-

- المؤمن دايما منصاب..تعيش وتاخذ غيرها.

ثم دخـــل علـــيهما أحد المحررين وناولهم صور وأخبار عن حوادث الإرهـــاب في أســـيوط والصعيد..فقد احتل الإرهابيون مديرية أمن أســـيوط وقـــتلوا الضابط المناوب في مكتبه..وحوداث جسيمة هنا وهـــناك تؤكد ما زرعه السادات من بذور الجماعات الدينية قد أتى ثماره.

ظـــل مكفهـــر الوجه..خشي أن تطوله نوبة الاعتقالات التي تمر بها البلاد هذه الأيام..العملية التي كانت أشبه بانقلاب تقوده الجماعات الدينـــية.."صـــوفي أبو طالب"رئيس مجلس الشعب..رئيس جمهورية مـــؤقت لحين إجراء انتخابات رئاسة الجمهورية..الشعب خشي أن تقاد البلاد إلى دمار ويصبح حالها مثل إيران.

المرشـــح النائب للرئيس..المعروف عنه أقل بكثير مما لا يعرفه الناس ولكنه القشة التي يتشبث بها الغريق.



جـــولة تفقديـــة قام بها "فريد" و"سامي" مبكراً وتوجها إلى مقرات الدوائـــر الانتخابـــية وبصحبتهما مصور..كانت المفاجأة أن أعداداً غفـــيرة مـــن الـــناس توجهـــوا إلى اللجان الانتخابية قبل موعدها بســـاعات..أدركـــا أن الشـــعب يـــريد بالفعل أن يرسي على بر الأمـــان..كـــان الـــناس يرددون عبارة اعتاد عليها الشعب الطيب ويقولون:-

▪ اللي نعرفه أحسن من اللي ما نعرفهوش.

كـــان الإقبال على صناديق الاقتراع منقطع النظير..نظر "فريد" إلى "سامي" في دهشة وقالا في نفس واحد:-

▪ اللي نعرفه أحسن من اللي ما نعرفهوش.

وكانـــت النتـــيجة نجاح ساحق أبهر الجميع فقد اعتاد هذا الشعب الطيب على الالتفاف حول رجل واحد يمثل صورة الحاكم..فالمجهول مخـــيف دون اختـــياره..فقد تتصارع الأحزاب الدينية على الحكم ويكون الحال بالفعل أشبه بحال إيران في تلك الفترة فيحرم الشعب

من الحياة البسيطة التي اعتاد أن يعيشها بحرية تتناسب مع فلسفته.

٦

أعوام تجر أعوام من حقبة الثمانينيات..انتصارات على الصعيد السياسي..شمال سيناء وجنوبها عادا إلى مصر بكامل أراضيها..الاتجاه إلى إصلاح البنية الأساسية..كانت خطابات مبارك الأولى تؤكد أن الانفتاح الذي سمح به السادات جعل البلد متدنية اقتصادياً..قالها السادات عندما مات جمال عبد الناصر.

قطار الانفتاح مازال يسير بخطى بطيئة فقد كثرت الإعارات والتعاقدات لكافة البلاد العربية وخاصة السعودية..رأسمال جديد جاء بالمعاناة والشقاء..يختزن حتى يظهر في وقت ما ليكون هناك انفتاح جديد ولكن حذر.

لم يكف "فريد" عن تسجيل تلك الفترة بأحداثها السياسية على عكس ما عهد عليه فالجانب الفني بات باهتاً..قلت الأفلام السينمائية التي مازال مسيطر عليها النجوم القدامى.."فريد شوقي" وغيره..وبدأت ظاهرة الأفلام السياسية تأخذ دورها

مما يؤكد وجود مساحة من الحرية والديموقراطية لا يستهان بها.
"سعاد حسني".."ليلى طاهر".."نجلاء فتحي".."مرفت أمين" "نبيلة عبيد"..حتى "مديحة يسري" من الزمن الماضي البعيد..كلهن مازلن على قيد الحياة الفنية.."نور الشريف" "محمود ياسين".."محمود عبد العزيز".."عادل إمام" "سمير غانم"..مازالوا يلهثون وراء إثبات نجوميتهم..هكذا كتب "فريد" ويؤكد أن الفيديو الذي بدأ ظهوره في نهاية السبعينيات سحب البساط من تحت أقدام السينما التي ساء حالها إنتاجياً وكذا في دور العرض التي بدأت تتقلص.
كتب ليقول أن الحياة في الثمانينيات..أخذت شكلاً مضيئاً أحياناً وباهتاً في أحيان أخرى..خاصة في المجال الاقتصادي..مدن جديدة..العاشر من رمضان..١٥مايو..٦أكتوبر..تحرك اقتصاد مصري صميم في محاولة نسف البضاعة المستوردة التي تقذف بها بورسعيد إلى جميع أنحاء القطر.

٧

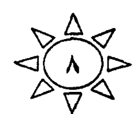
سافر إلى بورسعيد لزيارة أمه وشقيقته فأخبره زوج الأم أن التجارة

بـــدأت في الانحسار بعد موت السادات..فالمشروع مشروعه وكان مرهوناً بوجوده..وراجت إشاعات وقتذاك بإلغائه.

رجته الأم أن يقيم معها في بورسعيد فهو مازال لا يفكر في الزواج مما يؤلمها ويجعلها قلقة على مستقبله وحياته..فقد ظهرت جرائد محلية في بورســعيد يمكنه العمل بها ولكنه آثر أن تكون حياته في القاهرة وأن تنتهي بالزقازيق.

كـــبرت أخته "وسام" وأصبحت في سن خطرة..فهي تفيض بالأنوثة الـــتي امـــتدت إليها وراثياً من أمها الجميلة.بل أنها أجمل منها..المرة الأولى التي يخاف عليها..هذا الإحساس الذي لم يراوده يوماً ما..فهم ثلاثة ذكور..أتت الأنثى التي تجعله يخاف عليها..وخاصة أن والدها اقترب من سن المعاش..فكيف ستعيش في تلك المدينة المتحضرة والتي تبدو في نظره مثل القاهرة..تمنى أن تربى أخته في أحضان مدينته التي مازالت تحافظ إلى حد ما على التقاليد..خاصة أنه لا ينسى ما حدث لابـــنة عمه "صباح"..قال في نفسه.."أنت على حق يا همام لغيرتك علـــى أخـــتك"..شـــعور لم يتوقع أن ينتابه..فكاد أن ينسى أن له أخـــت..إنهـــا حقاً لا تحمل اسم أسرته ولكنها أخته..واقع عليه أن

يتقبله بحلوه ومره.



تدخل "سمير" بين ابني العم..فقال له "همام" بملء فمه:-

- أخويا على عيني وراسي..إنما العقربة اللي كانت في جحر واحد مع العقربتين التانين..لا..مفهوم يا ابن عمي..يا يطلقها ويقعد هنا..يا يرحل معاها.

وعلـــى أثر ذلك..اتخذ "بسام" قراره بالابتعاد عن السكن مع أخيه وابـــن عمـــه..قرر أن يعيش بمفرده مع زوجته..وافق "همام" مؤكداً له:-

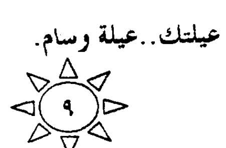
- ولـــا تفكر ترجع بيت العيلة..عيلة وسام..ترجع لوحدك يا أخويا يا ابن أمي وأبويا وعمك وسام.

قدرت "ابتسام" موقف زوجها..كانت لا تود أن تكون هناك قطيعة بـــين الأخـــوين بســـببها..لكن ظروفها تختلف عن ظروف "إلهام" و"أحـــلام"..فهـــي أصبحت تدور في فلك تلك الأسرة وسندها في الحياة زوجها..طيب خاطرها "بسام" وقال لها:-

- أمي قالتلي زمان..اللي يقول لمراته يا هانم..يقفوا لها على السلالم وانتي ست الهوانم.

قالت له وهي تبكي:-

- ربـــنا يجـــبر بخاطرك يا ابن الأصول وربنا يقدرني وأعوضـــك بحـــتة عـــيل يشـــيل اسمـــك واسم عيلتك..عيلة وسام.

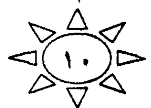


القاهرة مازالت تقلقه بزحامها..الدولة بدأت في بناء الكباري العلوية في ميدان رمسيس لتخف من حدة حركة البشر الكثيفة..التي جعلت القاهرة من أكبر عواصم العالم اكتظاظاً بالسكان.

وجـــد زحـــام عـــند أحـــد باعة المثلجات..قاده فضوله لمعرفة كنه الأمر..وجدهم يشربون مياه غازية قديمة أعيدت للحياة "السينالكو" عـــلاوة علـــى الســـبورت كـــولا والســـفن اللتان ظهرتا في نهاية السبعينات.

لاحظ أثناء تجواله بشارعي عماد الدين وسليمان..أن السينما لم يعد علـــيها إقـــبال..فتأكد أن الفيديو مازال يسحب السجادة من تحت

السـينما..تحسـر عليها فهي أجمل ذكريات عمره..لاحظ أن نجم "أحمـد ذكـي" بـدأ في البزوغ..تذكره عندما كان معه في المرحلة الابتدائـية والإعداديـة..تذكـر العرض المسرحي الذي كان يقوم ببطولـته علـى مسرح مدرسة الصنايع بالزقازيق..بهره وقتها بأدائه التمثيلي المميز..وتقليده لجميع نجوم السينما بطريقة تلفت النظر..في ذلك الوقت كانت "دلال عبد العزيز" ابنة بلدته في سبيلها للنجومية وكذا "محمد نجم"..كان فخوراً بهم وتمنى لو كان نجماً مثلهم.

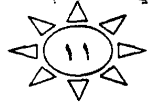


في سبيل الحفاظ على الصناعة المحلية..قامت حملة من مباحث الأموال العامـة والضرائب على المحلات التي تبيع البضائع الأجنبية في جميع أنحـاء الجمهورية والسؤال عن مصدرها..مما جعل "علي بطة" يخفي البضـائع الثقـيلة مثل الثلاجات والبوتاجازات في مخزن بعيداً عن الأنظار وترك بعض الأقمشة و المسجلات والمراوح التي تم مصادرتها من قبل رجال الحملة.

أخبر "همام" تليفونياً عما جرى..واعتبر أن الفرصة قد واتته للخروج

مـــن عباءته..فأخبره أن البضائع جميعها قد صودرت مما جعل "همام" يحـــول جميع بضائعه إلى مخازن سرية وأغلق جميع محلاته حتى تمر تلك الزوبعة على خير..ولكنه لم يشك للحظة بـــ"علي بطة".

حالفه الحظ وحصل على محل كبير في حي القومية الجديد بعد أن باع البضاعة التي أخفاها وبدأ في عرض بضائع محلية..وخرج بالفعل من عـــباءة "همام" وأصبح له اسماً وشأناً خاصة بعد حصوله على توكيل ثلاجات وبوتاجازات من الصناعة المحلية وكان يخفي ما يحصل عليه مـــن التهريب في مخزن سري ويصرفها لمن يثق بهم في التجارة وبدأ الجميع ينادونه بالحاج "علي" الذي لم تطأ قدماه الأراضي المقدسة.



فكر "همام" في تغيير شكل تجارته بعد أن حصل على عدة توكيلات مـــن مصـــانع سجاد وثلاجات وبوتاجازات من إنتاج بضائع المدن الصـــناعية الجديـــدة..ومـــازال "سمير" و"بسام" يشاركانه في تجارته الجديدة بل أنهم حصلوا على مكتب كبير في وسط البلد جعلوه مقراً لشركتهم الجديدة.

ظل "سمير" يقاسم "همام" السكن في فيلته الفاخرة دون أي مشاكل خاصة أن زوجته هي ابنة عمه وشقيقة "همام" وتربى بينهم الأبنه "وسام" التي أصبحت شابة يانعة ومقربة من قلب خالها الذي ألحقها بإحدى المدارس الأجنبية كأبناء علية القوم في القاهرة..التي ذابوا في أهلها والتحقت بالجامعة الأمريكية وأغلقوا الفرع الموجود في الزقازيق بعمارة الأسرة وأصبحت زيارتهم إليه في المناسبات الدينية فقط..كالمولد النبوي وأول رمضان والأعياد.

١٢

في الجريدة ناوله "سامي" ملفاً يحوي صوراً لجهاز شبيه بالتليفزيون..قال له:-

- خد يا سيدي أعجوبة من عجايب القرن العشرين..الحاسوب..أو زي ما بيسموه الكمبيوتر..ابتدا يدخل شركات حكومية وقطاع خاص وبعض الجرايد الرسمية.

ظل "فريد" يتفحص الملف ويقرأ..ثم قال له:-

- وأنا إيه دخلي.

قال له في تأكيد:-

- ما عادش حاجة تنكتب عن السينما والفن..اكتب في الموضـــوع ده..ده هيوفـــر كتير من الأيدي العاملة.

صرخ "فريد قائلاً:-

- يادي المصيبة..والأيدي العاملة اللي مالين مصانع وشركات القطاع العام..هما ناويين يقصفوا عمر العمال اللي الثورة حطتهم ضمن أهدافها.

ابتسم "سامي" وقال:-

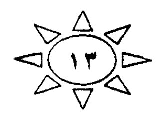
- ده غـــول وداخـــل مصر..اللي ابتدا يبقى عندها اســـتعداد لاستقبال التكنولوجيا..بحجة إنها هتغير العقول..احتمال تصيب العقول بالغباء..وعلى أي حال إعمل دراسة عن الكمبيوتر اللي اسمه صخر ده هينتشر أوي الفترة اللي جاية.

وضع رأسه بين يديه وقال:-

- ويا خوفي من الفترة اللي جاية..وأنا كنت بأقول

إن الثمانينات هادية وهتمشي مع عقارب الساعة..باين

عليها هتسبقها..وأنا فاكر أنها فترة تشبه الستينات .



في زيارة خاطفة لمدينته..تقابل مع "إبراهيم بقو"..قابله بترحاب بالغ ثم دعاه على مقهى السنترال لتناول فنجان من القهوة..تمنى "فريد" أن يكـــون معه ورقة وقلم ليكتب قصة حياة "بقو" ويصيغها في فيلم سينمائي..حكى له "بقو" تجربته المريرة في السجن وعودته للزقازيق بعد أن أُفرج عنه ليجد أمه قد توفيت..وشقيقاته سافرن إلى لبنان عن طريق "السيد كوكا"..كم يكن له كراهية..قال لـ"فريد":-

- اللـــي فـــيه داء ما بيبطلهوش..الله ينتقم منك يا ســـيد..ضـــحك على أخواتي وعملهم رقاصات وسفرهم على لبنان عشان يسترزق من وراهم..الله يرحمك يا عمتي..طلعنا فكي العيب وهو جوانا.

ســـأله عـــن مصدر رزقه..فأخبره أنه يعمل مع "علي بطة"..فوجئ "فـــريد" بكلامه..هل مازال "علي بطة" يعمل في التهريب والتجارة

فضحك "إبراهيم بقو" وقال:-

- ماهـــو صاحبك ابن لذينا..لهف البضاعة من ابن عمـــك همام..وقاله إن البضاعة اتصادرت..وفتح محل كبير وفوقه بيت خمس أدوار ملكه.

ضـــغط "فـــريد" علـــى أسنانه..كيف يصدق "همام" رواية "بطة" الكاذبـــة..لمـــاذا لم يتحـــرى الأمر بدقة..كيف استسلم لواقع كاذب..كم أنت طيب يا "همام"..وأكثر ما أثار حفيظته من حديث "بقـــو" أن "علـــي بطـــة" قـــد تـــزوج مـــن "إلهـــام" وأصبحت "إلهام هانم"..تركب سيارة فارهة وتذهب إلى نادي الشرقية مثل علية القوم.

نهـــض مـــن علـــى القهـــوة وصـــافحه وجرى على محطة السكة الحديـــد..توجه دون وعي إلى "همام" وما أن رآه قام وعانقه بحرارة بالغة وعاتبه قائلاً:-

- معقول الدم يبقى مية يا ابن عمي يا غالي.

أطرق "فريد" لحظة ثم قال:-

- أعـــذرني..إنـــت عارف الظروف والموضوع إياه

ضحك من قلبه وقال:-

- أنـــا عـــرفت كـــل حاجة من الملعونة اللي اسمها إلهام..داهية تاخدها مطرح ما راحت.

رد عليه قائلاً:-

- هي فعلاً خدتها داهية بس على هواها.

ثم حكـــى لـــ "همام" ما قاله "إبراهيم بقو"..فأخبره "همام" أنه على علـــم بذلك ولن يتنازل عن حقه الذي استولى عليه"علي بطة" الذي استغل كرمه وطيبة قلبه.

١٤

قـــرأ ما كتبه عن الكمبيوتر وقد نشره "سامي" في الصفحة الأولى ثم أخـــذ يقلب صفحات الجريدة فلفت نظره عامود داخلي في الجريدة كتـــبه "ســـامي" تحت عنوان "تساؤلات"..تحتفل الدولة هذه الأيام بالثورة..احتفالاً لم نر مثله في عهد "السادات"..لماذا؟..احتفل بمولد "جمال عبد الناصر" وأقيمت مرثية بمناسبة وفاته وكتب الناصريون عـــن "جمـــال" وأمجـــاده..حـــياته وكفاحـــه ومماتـــه..بداية حياته ونهايتها.. تقدم للكلية الحربية وواجهه الممتحن في كشف الهيئة بأسئلة

عديـــدة و مستفزة..منها..[في حد في عيلتكم ضابط جيش؟!..أبوك في مصـــلحة الـــبريد؟!..يعــني موظــف صـــغير؟!..ما عندكش أملاك؟!..مافيش عندك واسطة؟!]..أسئلة أجاب عليها وهو يعتصر ألماً..منها بالنفي ومنها بالتأكيد..لم يُقبل ودخل كلية الحقوق..في العام التالي تقدم للكلية وكان واسطته اللواء "إبراهيم خيري باشا" وكيل وزارة الحـــربية..الذي تقابل معه صدفة وشكا له من عدم قبوله في الكلـــية لأنه من أسرة متواضعة ولكنها شريفة فطلب منه أن يتقدم مـــرة أخـــرى..فتقدم..وكان الرجل ذاته رئيساً لنجنة كشف الهيئة وأمر بقبوله..ثم علق "سامي" قائلاً:-

رجـــل مـــن باشوات البلد..لصيق بالأسرة المالكة..هو الذي أعطاه الضـــوء الأخضر ليكون ضابطاً بالجيش المصري..من أسرة متواضعة وبدون واسطة.

التســـاؤلات كـــثيرة..أهمها..هل كان الباشا غيرموفقاً حينما زَرع شوكة في ظهر الحكم الملكي..أم كان رجلاً وطنياً فزرع زهرة يانعة توعـــرعت في رحابها قوى الشعب الكادحة..ثم ورد على لسان أحد الكتاب المقربين لـــ "جمال عبد الناصر" أنه قال لشقيقه "شوقي":-

"أنـــا ماعنديش مانع إن مستواكم المادي ينمو ويتحسن بشرط

يكون متبوع بالنمو الاقتصادي للبلد كلها".
كما أنه اشترط على عائلته أن تختار ما تشاء لتكوين رابطة نسب و الشـرط المانـع هـو ألا يكـون مـن الإقطاع أو الرأسمالية الغير وطنية..وأن والده كان يستخدم المواصلات العادية في تحركاته حتى اشـترى لـه ابـنه "جمـال" سـيارة "نصر" صناعة وطنية مصرية بالتقسـيط..لم يستطع عمه "سلطان" الحصول على معاش أثناء حياة ابن شقيقه وحصل عليه بعد وفاته في عام ١٩٧٢ وكان معاش زهيداً للغاية..ثم تساءل:-
هـل كان هذا الرجل ملاك..لمن..هل كان شيطان..لمن؟ الإجابة عن السـؤال الـثاني مـع كـل مـن يملـك مال..وحصر في عداد الرأسمالية..طبعاً..الغير وطنية.
التساؤلات كثيرة وسنطرحها في حلقات قادمة.
قـرأ "فـريد" هذا المقال وتعجب..من أنت يا "سامي"؟!..هل تحب الـرجل الذي كلما مر الزمن تبين أنه كان طاهر اليد؟!..هل تكرهه لأنـه كمـا تزعم الشيطان الذي أضر بالرأسمالية ومنها أهله؟!..هل "سامي" حاقداً على الرجل؟!.."فريد" يعشق "عبد الناصر كشخص ولكنه ينتقد الثورة والحاشية..لم يستطع أحد أن يجيب على تساؤلات

"فريد" التي ظلت عالقة بذهنه منذ أن سأل سؤاله البريء لمدرسه في الرحلة المدرسية..هل سيسكن رجال الثورة في قصر المنتزه؟!..وقتها اتهمه المدرس بأنه شيوعي..لم يكن يعرف معنى الكلمة وقتذاك ولكنها هـــزته بعـــنف مما جعله لا يتحدث في السياسة..وكم كان يتمنى أن يـــتحدث بشأنها ويكون صحفياً أشبه بمن جعلهم مثله الأعلى..فضل أن يتـــناول القضايا الفنية التي تعود إلى حبه للسينما منذ صغره..تمنى أن يقـــول ويكـــتب كمـــا قال وكتب "سامي" ولكن ليس بمفهومه الخبـــيث..أدرك الآن فقط أنه يعاني من عقدة تقليص الحجم المادي لأســـرته الـــذي لم يـــبق منه إلا الشقة الفخمة التي يقيم بها في حي الـــزمالك الـــذي زحف إليه أصحاب الرأسمال الجدد..يقولون بأنه رأسمـــال وطـــني..ولكـــن الله يعلم..والأيام كفيلة بأن تظهر الوجه الصحيح لهم.

١٥

قـــرر "همـــام" أن يسترد بضاعته التي سلبها "علي بطة" فأرسل إليه رجلـــين ليحتالا عليه بحجة شراء ثلاجات وبوتاجازات أجنبية الصنع وقـــررا له أنهما من قبل شركة تجهيز الفنادق التي يتعامل معها أحد

زبائنه..شك في أمرهما في البداية..ولكن "إلهام" التي حضرت الصفقة ..شـــجعته على اتمامها..فتأكد من شخصية الرجلين الذين قدما إليه بطاقـــات مزورة تفيد أنهما مندوبان من شركة الفنادق..وتم الاتفاق معـــه على تسديد ربع قيمة البضاعة نقداً وسلماه المبلغ الذي زغلل عينـــيه..والثلاثة أرباع الأخرى تكون في شكل كمبيالات تسدد له بمجـــرد إيداعها المخازن وأخبراه بأنه يتكفل بنقل البضاعة إلى مخازن الشركة بالقاهرة بنفسه..فسألهما قائلا:-

- بـــس أيه اللي عرفكم يا فندية إني عندي بضاعة مســـتوردة..مـــع إن البضاعة اللي في المحل كلها مصري.

وكـــان أحد الرجلين جاهزاً حينما أعطاه أمارة باسم أحد المتعاملين معه وقال:-

- أظـــن مافـــيش غـــير عني الرواسي اللي بياخد البضـــاعة دي مـــنك..وكان بيوردها لنا وبياخد عمولة عشرة في المية.

وخـــرج الـــرجلان من عنده وهو مطمئن البال..لكنه قرر الاتصال بـــ"عني الرواسي" وعرف منه أنه يقوم بالفعل بتوريد البضائع إليهم

ولكنه أخبره كذباً أن العمولة ثلاثة بالمائة فقط.

نجحت حيلة "همام" التي أحكمها بعد أن جمع التحريات عن المتعاملين معه في البضائع الأجنبية التي سرقها منه وخاصة "علي الرواسي" الذي يقوم بالفعل بالتوريد لشركة الفنادق التي أشار إليها الرجلان.

وبعد ثلاثة أيام كانت البضائع في المخزن المتفق عليه -الذي استأجره "همام" خصيصاً لهذا الغرض- نهاراً ونقلت إلى مخازن "همام" ليلاً واختفى الرجلان وذاب اتفاقهما..واتصل به "همام" في اليوم التالي وقال له ساخراً:-

- ماتبقاش تعمل مفتح عليا يا حرامي البط..أنا حقي رجعلي بالمليم..وما رضتش أحرق دمك وأخد بضاعة زيادة..عشان أنا ماليش في الحرام لأني ابن أصول.

كاد أن يغمى عليه وأخبر "إمام" فلطمت وجهها فالبضاعة تقدر بخمسين ألف جنيه.

١٦

الأستاذ "مسعد"..زوج الأم خرج على المعاش..كان حزيناً هو أسرته وخاصة "وسام" لأنهم سيتركون الفيلا التي تحمل بين جدرانها

ذكــريات دافئة.."وسام" كانت تردد وهي تبكي أن خلايا جسدها تكونت في كل جزء من أجزاء الفيلا.

لملمــوا حاجاتهم وبدءوا في الاستعداد للرحيل إلى شقة بديلة..ظلت "وســـام" تنظـــر إلى الحديقـــة ثم جـــرت تتقبل أشجارها وعشش الطـــيور..ثم رمت نظرة أخيرة على الفيلا المجاورة لهم..هناك يسكن "كمـــال"..كـــان زميلها في مدرسة آمون الثانوية المشتركة..يدرس بكلية الهندسة ببورفؤاد..وهي أصبحت في كلية التجارة.

ظـــل هـــو الآخر معلقاً نظره عليها..كانا يعتقدان أن الذي يجمعهما جـــيرة وزمالـــة المدرسة..لكن جمعهما حب كبير في قلوب صغيرة مازالت تتحسس خطاها في دربالحياة.

١٧

لم يمر شهر على انتقالهم إلى الشقة الجديدةوتوفى "مسعد"..متأثراً بحالته النفسية السيئة بعد أن ترك وظيفته..كان دائماً يقول لزوجته أنه لا يحتمل أن يحرم من ركوب المعدية يومياً إلى بورسعيد ومن مبنى الهيئة الفخـــم الـــذي تـــنقل بـــين مكاتـــبه حينما كان يرتقى للدرجات الأعلـــى..رحلة حياة باسمة تضحك على العمر وتطوي صفحاته التي

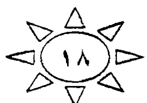
تتـــراكم حـــتى يـــأتي الوقت الذي يفرض العمر نفسه على حركة الإنسان التي تتدهور عائدة إلى الخلف.

حـــارت الأم وابنتها..ماذا ستفعلان..لم يشعرا بالغربة إلا الآن..أعطت "وسام" أرقام تليفونات أشقائها وأولاد العم..لم يجب أي رقم إلا رقم "همام".

تجمع الجيران وأصدقاؤه في العمل لعمل مراسم الجنازة..رجتهم الأم ألا يفعلـــوا شيئاً إلا حينما يصل أحد من أهلها..لم تعمل حساباً لهذا اليوم..كانت تعتقد أن الحياة ستسير بلا مفاجآت..حدثت الوفاة في صـــباح مبكر..حضر "همام" و"سمير" و"بسام" ولم يتمكنوا الاتصال بــــ"فريد" و"منير"..أخذهم "همام" في سيارته ووصلوا إلى بورسعيد قـــبل صلاة العصر حيث أقاموا الصلاة على الجثمان وأعدوا سيارة لدفنه في الزقازيق في مقابر أسرة الأم.

وصلوا إلى الزقازيق ليلاً وتوجهوا إلى مقابر المبرز ودُفن الجثمان..ثم توجه الجميع إلى بيت الأسرة في الزقازيق وأعد "همام" سرادقاً ضخماً أمام المنزل لتقبل العزاء حيث لحق بهم "فريد و"منير".

وتـــوجه "بســـام" وزوجته "ابتسام" للإقامة في بيت أسرهًا تحسباً لحـــدوث احـــتكاك بينها وبين "همام" وباقي أفراد الأسرة أقاموا في البيت الكبير حتى انقضت فترة العزاء.



سافر "فريد" إلى بورسعيد بصحبة أمه وشقيقته "وسام"..لنقل العفش إلى البـــيت الجديـــد في الزقازيق بعد أن وافق "همام" على استضافة زوجـــة العم وابنتها..وبمجرد دخول السيارة إلى بورسعيد ظلت الأم وابنـــتها تبكـــيان..لا تصدقان أنهما سيغادرانها دون عودة وقد أحب الـــبلدة وترعـــرعت "وسام" بين أحضانها..مدينة فريدة تجذب إليها قلوب كل من يعيش فيها سواء من أبنائها أو من الوافدين عليها.

توجهوا إلى المنزل الذي يقومون فيه وحزموا الأمتعة ثم توجه "فريد" مع أمه إلى مبنى الهيئة لتقدير المعاش الجديد بعد الوفاة وتقديم الأوراق اللازمة.

عـــادا إلى البـــيت وقـــام "فريد" باستئجار سيارة نقل..فطلبت منه "وســـام" أن تنظـــر نظرة أخيرة على الفيلا التي كانوا يقيمون فيها

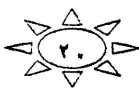
وقفــت أمامها بعد أن سكنها سكان جدد فظلت تبكي كمن يبكي علــى أطلال ماض جميل..ثم لاحظ "فريد" خروج شاب من شرفة الفــيلا المواجهة وبدا عليه الحزن فنظرت إليه "وسام" وازدادت في البكاء..فأدرك "فريد" أن قلب أخته الصغير بدأ يتحرك بالحب..من حقهــا أن تحــب في تلك السن كما أحب هو "نهاد"..بل أن "نهاد" كانــت أصــغر مــنها سناً..لكنه بدون وعي جذبها من يدها بقوة وانصــرف..ما كان يخشاه حدث وترحم على ابنة العم "صباح" التي راحت ضحية الحب فالقلوب عندما تتحرك لا يحدها إلا الموت.

١٩

في الــيوم التالي قبعت الأسرة في البيت الجديد بعد أن رتبوا العفش وظل "فريد" مرافقاً لأمه وشقيقته ثلاثة أيام حتى استقر الوضع..وقبل أن يتــركهما اســتيقظ لــيلة ســفره علــى صوت موسيقى فقام مفزوعاً..فوجئ بأن "وسام" ترقص كأحسن راقصة والأكثر من ذلك أن أمها تصفق لها..ففزع فيهما فغضبت أمه منه وقالت:-

- لا يا سي فريد..إنت ما تحجرش علينا إحنا دلوقتي بقيــنا زي اليتامــى وكــل واحد منكم في دنيته

صدم عندما سمع هذا الكلام من أمه..تذكر حينما كانت تنشب خناقة بين أمه وزوجة عمه..كانت تقول لأمه.."يالا يا رقاصة..ياللي ماسيبتيش فرح حد من العيلة إلا ورقصتي فيه"..كانت الأم ترد عليها"ده من غلك وغيرتك مني يا أوئة يا أم أربعة وأربعين"..وانتقلت هذه الهواية إلى ابنتها..شقيقته التي شعر أنها ستكون عبئاً ثقيلاً عليه..خاصة أن "منير" و"سمير" مشغولان في حياتهما ولن يفكران يوماً أن لهما شقيقة في سن حرجة تحتاج إلى الرعاية والمراقبة لسلوكها الذي قد يؤدي بها إلى الهاوية.



أسرة "ابتسام" تهدم منزلهم بالزقازيق وتوفي جميعهم تحت الأنقاض..عدا ابنة شقيقتها "زينات" –التي تصادف وجودها خارج المنزل– وتبلغ من العمر خمسة عشر عاماً..مات أبوها وأمها تحت الأنقاض مع جدها وجدتها..أصبحت يتيمة..تبادر إلى ذهن "بسام" أن يصطحبها لتعيش معهما في القاهرة ليعتبرها ابنته التي تعوضه عن عدم الإنجاب..كانت في المرحلة الإعدادية..حول أوراقها إلى مدرسة راقية بجوار محل إقامته..قام

"سمير" و"نجاح" و"فريد" بتأدية واجب العزاء ولم يفعل "همام" الذي اعترض على وجود تلك الفتاة وقال "إحنا ناقصين".

حـــزن "فـــريد" حزناً شديداً على والد "ابتسام" الذي كان يدعى "الشامي" فهو معروف أنه من بلاد الشام وقد فر منها وحده وعاش في الزقازيق وعمل معه زوج ابنته الثانية الذي هرب من الملجأ عندما كان صغيراً..وقام الأب بتعليمه صنعته في الحلويات..قال "فريد" في نفســـه"صدقت يا عم عرابي..مصر لامة من كل البلاد"..قام بكتابة مقالة تحت عنوان"آخر رجال الزمن الجميل ورحلة الشتاء والصيف" فكـــان يتذكر الرجل عندما كان يبيع "الكسات" صيفاً في صندوق صـــغير..كـــان الـــناس يتهافـــتون عليها لنظافته وللمذاق الخاص لبضـــاعته..في الشـــتاء يسرح بعربة مغطاة بالزجاج يحتفظ داخلها "بالبلـــيلة-الكسكسي-البسبوسة" ويساعده زوج ابنته الذي شرب منه الصناعة..ثم ختم المقالة "وداعاً رجل الزمن الجميل".

٢١

رســـب "وســـام" ابن "منير" في الثانوية العامة للمرة الثانية مما أحزن والده ووالدته التي كانت تأمل في التحاقه بكلية الشرطة أسوة بأبيها

وزوجهـــا ولكـــنه يرفض الفكرة فهو يرغب في الالتحاق بأي كلية نظــرية..فقـــد مـــل وظـــيفة أبيه الكثيرة التنقلات وعلى حد قوله "ملهاش مستقبل..وأخرها المعاش المبكر".

نجحت "وسام" ابنة "سميرونجاح" بتفوق في الجامعة الأمريكية واشترى لهـا الخال سيارة صغيرة هدية لتفوقها..فهي ليست مجرد ابنة شقيقته بل يعتبرها ابنته.

أما "وسام" الأخت فقد رسبت في جميع المواد في كلية التجارة..حزن "فريد" ولامها على إهمالها للدراسة قائلاً:-

- هو انتي فاضية إلا للرقص والموسيقى والحب.

ظلت تلطم وجهها وهددته بأنها ستحرق نفسها وقالت:-

- أنـــا ما باحبش الدراسة في كلية التجارة..عاوزة أحول منها.

وقفـــت أمها بجانبها فهي الابنة المدللة التي تملأ حياتها..اقترح عليها "فـــريد" أن تحـــول أوراقها لكلية الآداب..فرحبت على أن تلتحق بقسم الصحافة أسوة بأخيها.



حدثت مشادة بين "منير" ورئيسه في العمل وذلك لتأخيره في التوجه إلى بـــلاغ حريق بإحدى قرى المنصورة وكان "منير" قد ضاقت به الدنــيا نظـــراً لعـــدم استطاعته تلبية متطلبات الحياة الضرورية فلم يســـتطع أن يعيش حياته كبقية أهل تلك المدينة التجارية التي تكتظ برؤوس الأموال الغير ظاهرة.

كـــان قـــرار مديـــر الأمـــن بنقله إلى ديوان المديرية ليرأس مخازن الشرطة..عمل لا يختلف كثيراً عن أعمال المطافئ..عمل إداري أشبه بالوظائف المدنية فقتل آخر طموح له في الشرطة.

في ظـــل تلك الظروف حضرت "ضحى" شقيقة زوجته التي لم تتفق الحـــياة مـــع أهـــل زوجها بعد أن توفي..وعند وصولها لبيت أختها أخرجت مبلغاً مالياً وناولته لـــ "منير" وقالت:-

- ده معاشـــي عن جوزي..خليه معاك في مصاريف البـــيت..أنـــا عارفـــة ظـــروفك وظروف مهنة الظابط..بابا الله يرحمه كان بالعافية بيوفي طلباتنا.

عزت عليه نفسه وحاول رد المبلغ ولكنها أصرت وقالت:-

- إنـــت قبل ما تكون جوز أختي أنت أخ وأب..ما تنســـاش إنك راعتنا زي بابا بعد ما مات وأكتر كمان.

ثم قدمت له ابنها الصغير وقالت:-

- سلم على خالك منير يا محسن.

٢٣

في زيـارة لـــ"همـام" وجـد كـثيراً مـن أجهـزة الكمبيوتر "صـخر"..و"الأتاري والبلاي ستاشين" للأطفال المدللين الذين كابد أهالـيهم مـن أجـل إسعادهم..الأهالي الذين ولدوا في الأربعينات والخمسينيات..كانا يعيشون في بؤس..صبروا وتعلموا..أصبحوا دي مراكز عليا..لم يطمعوا في الأهالي البسطاء بل رفعوهم معهم ..الجيل الجديد يجني حصيلة ما جمعه الأباء في سنين..أصبحوا جيلاً يأخذ ولا يعطي حتى لو استطاعوا العطاء.

رحب به "همام" وأهداه لعبة أتاري وقال:-

- ده تشغيله بسيط خالص..هتدخل السلكة دي في التلفزيون وتحرك الدراعات يمين وشمال.

ثم ضحك من قلبه وقال:-

- مش صندوق الدنيا بتاع عمك عرابي..يا أخي ده إحنا كنا متخلفين أوي.

تنهد "فريد" وقال في حسرة:-

- بس كنا سعداء وبنفرح بأقل لعبة..حتى لو كانت عجلة من فل الكازوزة وحزام من علب السجاير.

نظر "همام" له في دهشة وقال:-

- يا راجل ده أنا اخترت التوكيل ده بالذات بعد ما قـريت المقـال اللـي انت كاتبه عن الكمبيوتر وتمجيدك ليه.

اكفهر وجه "فريد" وقال:-

- يبقـى انـت ما فهمتش اللي قريته كويس..إحنا بنبسط كل حاجة لعقول الأولاد لحد ما يجي وقت مـش هيشغلوا فيه مخهم وهيفقدوا أجمل ميزة في الطفولة..الخيال اللي بيولد الإبداع.

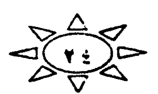
نظر إليه"همام" باهتمام ثم قال:-

- مـا هـو الحاجـات دي كلـها كانـت

- خيال واتحولت للإبداع اللي بتقول عليه ده..انت مــش فاكر فيلم رحلة السندباد السابعة ولا فيلم لص بغداد لما كان الساحر يبص في مراية تبين له أي مكان في العالم أهي اتحولت لتليفزيون والبساط السحري اتحول وبقى طيارة.

أطرق "فريد" لحظة ثم قال:-

- عندك حق يا همام..لسة ياما هنشوف.



فوجــئ بإدراج اسمه ضمن المنقولين في الحركة العامة إلى مديرية أمن الوادي الجديد..أصيب بدوار..فهو لا يستطيع أن يفي بمتطلبات بيته مع استقراره..فهل سيستطيع ذلك بعد أن يبعد عنهم ويعود ليعيش أعــزب في بــلاد كفــراء لا حــياة فيها..أم هل سينقلهم معه إلى هناك..وما وضع "ضحى" شقيقة زوجته..هل سيتخلى عنها ويتركها فريسة الدهر هي وصغيرها..أفكار كثيرة تراوده..كاد أن يجن فذهب إلى البيت وناقش زوجته فيما حدث فقالت له:-

- رب هنا..رب هناك..بابا ياما اتنقل من بلد لبلد

وكلنا كنا متجرجرين وراه.

قال لها في عصبية بالغة:-

- ظــروفي غــير ظروف والدك..وظروف الشرطة الــنهاردة غــير زمان..النهاردة في عدو بيحاربنا وإحنا مش شايفينه..إنتي ناسية الإرهاب اللي مالي البلد.

أطرقت وقالت له في انكسار:-

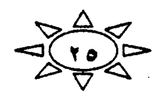
- اللي فيه مصلحتك اعمله.

قال في تأكيد:-

- اللي فيه مصلحتنا كلنا هاعمله.

جــاءه اتصال تليفوني من ابن العم "همام" الذي قرأ الخبر في الجريدة وعــرض عليه خدماته وأكد له أنه سيقف بجانبه إذا ما نفذ أمر النقل أو استقال.

كانــت فكرة الاستقالة غير واردة لكنها ألحت عليه الآن ولكن هل سيضحي بمكافأة نهاية الخدمة ويكتفي بالمعاش الضئيل.



تقـــدم باســـتقالته ثم توجه إلى "همام" في شركته وأخبره بما فعل فقال له:-

- إحـــنا كـــنا فخـــورين إن فيه واحد في عيلتنا في الشـــرطة..لكـــن اللـــي أنا شايفه يا ابن عمي إن الإرهـــاب نـــازل رزع في رجالـــتها..عســـاكر وظـــباط..شـــوف يـــا ابن عمي انت تتنقل إنت وأســـرتك لبـــيت العيلة الجديد في الزقازيق بصفة مؤقتة..وهتبقى ونس لوالدتك.

نظر إليه "منير" تائهاً وقال:-

- وبعدين يا ابن عمي.

ضحك وظل يحفزه قائلاً:-

- وبعدين إيه..كل حاجة مقدور عليها..عاوز تشتغل في الـــتجارة..تـــنورها وتنورنا..عاوز تفتح مكتب محامـــي..البـــيت في الـــزقازيق تفتح المكتب وأنا هاجهـــزهولك ولا أجـــدعها أبوكاتو في الزقازيق

وأهــو مــن ظابط لمحامي وضع نفتخر بيه وما يفرقش كتير عن وضعك الأولاني ويمكن يكون أحسن

٢٦

التحق بمكتب اللواء متقاعد "فاضل" الذي كان مساعد مدير الأمن في بداية تعيينه..لم يبخل عليه بمعلوماته العملية في مجال المحاماة..كلفه في الــبداية بإعــداد المذكــرات للقضايا بمرتب يبلغ ضعف ما كان يتقاضــاه في الشــرطة مما أثلج صدره وجعله يقول في نفسه "ياريتني قدمت استقالتي من زمان"

حــزن "فــريد"..كان يتمنى أن يره شقيقه مديراً لأمن الشرقية حتى يقــيم في الفيلا ذات الطراز الإنجليزي التي كانت تداعب خياله في طفولــته..لكن طموح "منير" كان محدوداً خاصة أن كثير من خريجي دفعــته اتجهوا للأعمال الحرة في ظل الانفتاح الذي بدأ يأخذ أشكالاً جديــدة..عُيــنوا مديري أمن في المصانع العملاقة ومنهم من عُين في العلاقــات العامــة لشركات رأسمالها بالمليارات..لكنه لم يفكر فيما خطــوه مــن خطــوات..كان يأمل أن يكون محامياً كبيراً يشار إليه بالبنان..قال مرة لشقيقه "فريد":-

- مهــنة المحامي..مهنة محترمة..مهنة القضاء الواقف ..الوظــيفة دي تقدر تحميني أكتر من وظيفتي من الناحــية القانونــية..والمحامــاة بقالها شأن في نهاية السبعينيات وخلال فترة التمنينيات.



العلاقــة بين "سامي" و"فريد" زادت فتوراً خاصة بعدما عين من هو أحدث منه عملاً بالجريدة رئيساً للتحرير بعد أن نصب نفسه رئيس مجلــس إدارة الجريدة بتوصية من أحد رجال الرأسمالية البالية الذي أفــرغ ما في جعبته من حقد على الثورة عن طريق "سامي" الذي لم تسعفه شجاعته التي كان يتصنعها أن يكتب بصراحة في وقت زادت فيه ألسنة المعارضة التي انصبت كلها في التجريح بعهدي "جمال عبد الناصــر" و"الســادات"..قليلاً من يكتب عن سلبيات الفترة الحالية التي بدأت تلوح في الأفق بروائح الفساد.

عــاد للكــتابة في الصــفحة الفنــية إلى حين أن يتخذ قراراه بترك الجــريدة..كــتب عن الغناء في بداية ووسط الثمانينات..كتب عن تــراث الشــيخ "ســيد درويــش" الــذي أحــياه الحفــيد

"إيمـــان البحر درويش" وتداول الجميع شريط الكاسيت الذي يحوي أغـــاني من التراث القديم بتوزيع موسيقي جديد ليؤكد على الذوق الـــرفيع لمســـتمعي الطرب من أبناء هذا الشعب الطيب الذي طالما شغلته عن همومه الأغاني ومسلسلات التليفزيون والمسرح والسينما ولعـــبة كـــرة القدم الشعبية..وبدأ نجمي "سميرة سعيد" و"لطيفة" في البـــزوغ بأغـــاني طربية أصيلة لم تكن معروفة عند العامة..وانطلقت "وردة" بســـرعة الصاروخ في أغاني تؤكد روحها المصرية في الوطن الـــذي ترعرعت في ربوعه..واختفى الصوت الحنون..مطربة الحب العقـــلاني "فايزة أحمد" فخلت الساحة الفنية من مساحة صوتها التي اعـــتادت علـــيه آذان المصـــريين وارتبط معها بأغاني الأسرة"ست الحبايب،بـــيت العـــز يـــا بيتنا"..الغناء وحده هو الذي يكبح جماح المصريين عند الغضب..هو المتنفس الوحيد لشعب لا يملك أن يقول "لا" في أحيان كثيرة.

٢٨

كـــان الاتفاق بين "فريد" وأمه أن تقيم معه شقيقته "وسام" في شقته بالقاهرة على أن تعود للزقازيق في نهاية الأسبوع لكن الأم رجته أن

يتركها تذهب للجامعة وتعود للزقازيق بالقطار يومياً..وافق "فريد على ذلك على أن تقضي اليوم معه في حال تأخرها في الجامعة.

دخلت الشقة فلم يعجبها شكلها..فقامت بإعادة ترتيب نظامها..عاد من عمله فوجد الشقة في حالة أحسن..نظر إليها فرحاً وقال:-

– أهو انتي دلوقتي ست بيت بصحيح.

أطرقت ثم قالت له في :-

– إنت زمان كنت بتحبني أكتر.

ضحك وقال:-

– بالعكس..أنا باحبك أكتر من زمان..ده انتي الفرحة اللي دخلت علينا يا وسام..بس انتي كبرتي وحبي ليكي بياخد شكل تاني زي خوفي عليكي.

تحدثا سوياً في صراحة وحب..لامها على حبها للولد الصغير الذي كان في نفس سنها في بورسعيد..عرفها أن الرجل يجب أن يكون أكبر من المرأة..فالمرأة تنضج أسرع من الرجل سواء كان ذلك جسدياً أو عقلياً..لذا يجب أن يكون الطرف الثاني أكبر سناً وأكثر نضجاً.

أســرعت بإعداد الطعام لهما مما وجدته في الثلاجة فأثلجت صدره وجعلــته يشــعر بأحاسيس جديدة..وجود الأخت رمز الحنان فهي امتداد لصورة الأم.

بــدأ يذاكــر معها دروسها ويقارن بين ما هو في الدراسات النظرية والجانب العملي في عالم الصحافة..فازداد قربهما من بعضهما البعض وذابت الثلوج في علاقتهما التي كادت أن تصبح فاترة.



بــدأت تشــعر بالــوحدة في ذلــك المنزل الكبير الذي تعيش فيه بمفــردها..خاصــة بعد سفر ابنتها المتكرر..فكانت تخرج بين الحين والآخــر لزيارة الجيران في منطقة منزلهم القديم..وفي أثناء عودتها في أحــد المــرات دعاها المعلم "رجب" الذي اشترى البيت وتوسعت تجارتــه وأصبح وجهاً للرأسمالية الجديدة في المجتمع الصغير..رحبت بدعــوته وزارت معــرض الموبيلــيا الذي أقامه في الدور الأول من العمارة..ثم شاركته تناول الشاي فشكا لها من وحدته بعد أن توفيت زوجته وتزوج أولاده وأقاموا بعيداً عنه وقال:-

- رغــم إني بنيت البيت ده من شقى عمري عشان

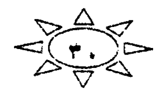
يبقوا قريبين من بعض ومني.

قالت في تلقائية:-

- العيال عاوزة تتعلم وتتجوز ويتسحبوا من إيد أهاليهم.

ثم شكت له هي الأخرى من الوحدة التي تؤرقها..نظر إليها وحدث نفسه قائلاً"والله وبقيتي قدام عيني يا حلم زمان..ماحسنش بست غيرك ولا ملا عيني واحدة زيك..ياريت نركب آخر عربية في قطر العمر مع بعض".

فهمت نظراته وكأنها سمعت ما قاله بين نفسه..فشجعه حديثها معه وقرر أن يطلب يدها من أحد أبنائها..وكل منهما نسي عمره فهي على مقربة من الستين وهو قد تعدى الخامسة والستين..لكنها رغبة تلح عليه وعبرت عنها نظراته فهي مازالت تحتفظ بسحرها الخاص وأنوثتها الطاغية وأناقتها بالرغم من كبر سنها..خاصة عندما ترتدي "التايير" والحذاء ذا الكعب العالي وما تتعطر به من عطر وما تتزين به من ماكياج وكأن الزمن لم يمر عليها.



استيقظ "بسام" مفزوعاً على أثر حلم أرق ليلته..رأى خالته "عفيفة" -وهـــي أصغر شقيقات والدته- تنادي عليه وتصرخ..إنه لم يز رها مـــنذ سنوات كثيرة..فأخبر "ابتسام" أنه سيسافر اليوم إلى بلدة أمه فحاولت الاستفسار عن سبب ذلك السفر المفاجئ فقال لها:-

- لما أرجع هابقى أقولك.

استقل سيارته وتوجه إلى البلدة قاصداً بيت خالته فقابله أحد أقاربه وقال له لائماً:-

- معقـــول يـــاولاد الحسب والنسب تنسوا لحمكم بالشكل ده.

فانطلـــق إلى المترل فوجد خالته قد كف بصرها..هي تعيش بمفردها فقـــد توفي زوجها منذ زمن بعيد..تعيش في بيت كبير تحيط به أرض زراعية مساحتها حوالي فدان..ورثتها والبيت عن زوجها الذي كان ميســـور الحال وكان رجلاً وحيداً..أتى إلى البلدة من جهة لا يعرفها أحـــد وتزوج من الخالة..كان له مغلق خشب كبير آلت قيمته بعد بيعه إلى الخالة الوريثة الوحيدة.

شـــعرت الخالة بوجوده وعندما عرفت أنه هو عاتبته فقال لها وهو مطرق الرأس:-

- وصـــلني عـــتابك يـــا خالتي وماتأخرتش عنك وسامحيني على الجفا اللي كان بينا.

ثم حولت الموضوع إلى مزاح وقالت له:-

- فاكـــر لما كنت بتيجي إنت وأخواتك تزورني مع أمـــك قـــبل أبوك ما ربنا يفتكره..وكنت باطلع الـــنخلة عشان اجيبلكم البلح وانت تقعد تبصلي وتســـتغرب..بس أن كنت باحبك يا واد يا بسام زيادة عن أخواتك.

بكـــى تأثـــراً لحالتها ولقطعه صلة الرحم طوال الفترة الماضية وقرر اصطحابها معه لتعيش بين أسرته وتكون تحت رعايته.

رحـــبت بهـــا "ابتســـام" وجهـــزت لها حجرة وهيأت لها كل سبل الـــراحة..فظلـــت تدعو لهما من قلبها أن يخلف الله عليهما بالذرية الصالحة.

٣١

ذهـــب إلى الزقازيق مع أخته "وسام" وبمجرد دخوله الشارع قابله

المعلم "رجب" بترحاب بالغ كعادته معه ودعاه لتناول فنجان "قهوة" معـــه في المعرض فتركته "وسام" وتوجهت إلى المترل..ظل يحدثه من قـــريب ومن بعيد عن وحدته التي تؤرقه وفي نهاية الحديث طلب منه أن يقترن بأمه فغلت الدماء في عروقه وتغيرت لهجة حديثه معه وقال له في حدة:-

- إحـــنا جـــيران وحبايب يا عم رجب وياريت ما تفكرش في حاجة من رابع المستحيلات.

شعر الرجل بإحباط شديد واكفهر وجهه بعد أن كان يحلق في سماء أحلامـــه مـــع السيدة الجميلة التي هي مطمع أهل الحي من الرجال الذين بلغ بهم العمر أرذله.

دخـــل البـــيت ينفخ ويزبد..وظل ينظر إلى أمه التي كانت ترتدي قميصاً يبرز جمالها وأنوثتها وقال لها:-

- إنـــتي يا أمي مش قادرة تقتنعي إن الزمن بيعدي وإنتي بتكبري.

قالت له في اعتراض:-

- فشر ده اللي في سني لسة بنات بنوت.

أطرق ثم قال لها:-

- يبقى انتي اللي بتشجعيهم على أنهم يطمعوا فيكي.

وقفت له ووضعت يدها في وسطها وقالت:-

- هما مين دول يا عين أمك..ما تحاسب على كلامك يا ولة.

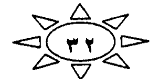
نهض في عصبية بالغة وقال لها:-

- المعلم رجب طلب إيدك مني يا أم الرجالة.

ابتسمت وظلت تنظر إلى جسدها وتتمايل في دلال وقالت:-

- وفيها إيه يا اخويا..راجل بيفهم..ده غير إن ماليته جامدة ويقدر يفتح بدل البيت عشر بيوت.

نظر إليها في عصبية وانصرف إلى حجرته غاضباً.



في اليوم التالي طلبت منه "وسام" أن تزور شقيقها "منير" فسافرا إلى المنصورة..قابلها بترحاب بالغ هو وزوجته وشقيقتها وأعدا لهما وجبة غداء فخمة فاستنتج أن حالة منير أصبحت ميسورة بعد التحاقه بمهنة المحاماة.بدأ حديثهما الجانبي ذاكراً بما أفصح به المعلم "رجب" برغبته للاقتران بأمهما وأن الأم ترغب في ذلك مما أغضب

"منير" الذي انفعل وقال:-

- هي مش عاوزة تحس إنها كبرت وبقت جدة..وإذا كانت بتتحجج بإنها قاعدة لوحدها أنا اتفقت مع "همام" ابن عمك إني أروح أقعد في البيت في الزقازيق وأفتح مكتب هناك.

رحب "فريد" بعرض "منير" وقال:-

- يا ريت ترجع أيام زمان ونتلم على بعض تاني في بيت واحد.

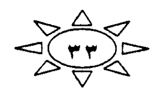
ضحك "منير" وقال له في حماس:-

- وإيه رأيك بقى إني هأعمل فطار أول يوم رمضان السنة دي في الزقازيق وأنا اللي هأعزم همام وبسام وسمير ومراتي وأختها هما اللي هيقوموا بالعزومة دي.

أطرق "فريد" لحظة ثم قال:-

- سبحان الله..الأيام بتجري..ورمضان باقي له أسبوعين وجاي في عز الصيف..فكرني بأيام رمضان لما كان بيجي في الصيف وإحنا صغيرين.

ثم نهض وقبّل "منير وقد اغرورقت عيناه بالدموع.



رحب "همام بعرض "منير ورجاه أن يسمح له هو الآخر بإعداد إفطار في اليوم التالي تعده أخته "نجاح" فلم يمانع "منير" مما أثلج صدر "همام" الذي قال لأخته "نجاح" وزوجها وابن عمه "سمير":-

- عمر الدم ما يبقى مية..إحنا ما اتجمعناش مع بعض في رمضان من ساعة ما توفى تمام..ربنا يجعل أيامنا كلها خير.

تحرك "همام" بسيارته إلى الزقازيق وفي صحبته "سمير" و"نجاح" فقابلته زوجة عمه بترحاب بالغ..كذا زوجة منير وشقيقتها التي زغللت في عينيه..السعادة تملأ عيونهم وقلوبهم وخاصة الشقيقة "وسام" التي شعرت أن لها أسرة وعزوة بعكس الأمر عندما كانت تقيم مع أمها و أبيها في بورسعيد..وسرعان ما حل وقت الإفطار وقد بُهر "همام" بالمائدة التي أعدتها زوجة "منير وشقيقتها والتي تنم عن ذوق رفيع..وقد لاحظ "فريد" كعادته أن "همام" ينظر إلى "ضحى" في هيام..وصدق ما تخيله فقد لمح "همام" إلى "منير" أنه يريد

الاقتران بشقيقة زوجته عندما علم أنها أرملة..كما أبدى اهتمامه بابنها الذي يبلغ الرابعة عشر من عمره.

وفي نهاية اليوم لمح "منير لزوجته برغبة "همام" في الاقتران بشقيقتها مما أسعدها وجعلها تعرض على أختها الأمر ولكنها كانت مترددة عندما رأته يزك بقدمه اليمنى بطريقة ملفتة للنظر فأكدت لها شقيقتها أن هذا الأمر يمكن التغاضي عنه فالرجل لا يعيبه شيء فهو من رجال المال المعدودين في الزقازيق والقاهرة وأنها ستعيش أسعد أيامها في ظل كرم وحنان "همام" خاصة وأن زوجها الأول كان موظفاً محدود الدخل مما أثقل كاهلها وأن معاشه بالكاد يجعلها تعيش على حد الكفاف.

وافقت تحت إصرار الشقيقة وإغراءاتها بالمستقبل السعيد الذي فتح لها آفاقاً باتت تحلم بها.

٣٤

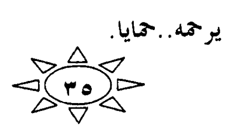
في اليوم التالي دعا "همام" الأسرة جميعاً إلى الإفطار في أحد المطاعم الفاخرة بالزقازيق فقبلوا الدعوة عدا "بسام" الذي شعر بحرج زوجته من وجودهما مع "همام" تحت سقف واحد وخاصة أنه ترك خالته مع الابنة "زينات" وحدها.

مهدت زوجة "منير" الجو لزيادة التعارف بين "همام" و "ضحى" فجعلتها تجلس بجانبه مما أكد ظنون "فريد".

وبعد تناول الإفطار كان المأذون في بيت الأسرة ليعقد قران "همام" و"ضحى" وقد رحب الابن "محسن" بهذه الزيجة واتفقا على اتمام الزواج في عيد الفطر.

تعجب "فريد" لهذا التطور السريع لعلاقتهما التي لم تدم سوى يومين وأبدى "همام" مدى سعادته لتوطيد العلاقة بـــ "منير" قائلاً:-

- والله يا ابن عمي وبقينا عدايل..وبقى المأمور..الله يرحمه..حمايا.



كان العيد هذا العام مختلفاً..فكان الاحتفال بزفاف "ضحى" إلى "همام" في قاعة أحد الفنادق الكبرى في القاهرة وكأنها ليلة من ألف ليلة وليلة.

بعد انتهاء مراسم الزفاف اصطحبها إلى رأس البر مصيفه المفضل وتركا "محسن" عند خالته زوجة "منير".

قضى شهراً كاملاً اكتشف فيه الفرق بين طليقته الفقيرة الجاهلة

وزوجته التي تمتد جذورها إلى أسرة تركية كانت عريقة ذات يوم فكانت دائماً تشده لها برائحة جسدها الزكية واهتمامها بأنوثتها..وأحياناً يكفهر وجهه فقد كان يتمنى أن يكون أول فارس يخوض مضمارها.

٣٦

عاد إلى فيلته في القاهرة فقابلتهما "نجاح" بترحاب بالغ وقد أعدت وليمة فخمة أسعدت "همام" ولكنها لم تسعد "ضحى" التي همست لـ"همام" أثناء تناولهما الطعام عندما سألها عن مهارة أخته في الطهي قالت:-

- بكرة هادوقك أكلي..أكل عمرك ما كلته ولا هتاكله إلا من إيدي.

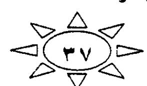
لاحظ "سمير" أن "ضحى" تأكل بتأفف كما أنها تتحدث معهم بتكلف مبالغ فيه فقال في نفسه "ربنا يستر..إحنا هنعيش ازاي تحت سقف واحد" حتى أن "نجاح" وابنتها "وسام" شعرتا بحرج بالغ عندما لاحظت أن "ضحى" تقلب في الطعام وتخرج "زلطة صغيرة" من الأرز. صعدا إلى حجرة نومهما فأتت ضحكاتها مجلجلة في أنحاء الفيلا مما

مما سبب حرجاً لـ "نجاح" التي كانت تقول:-

■ دي بجحة أوي..بقى دي بنت الناس.

جلس "سمير" يدخن سيجارة وينفث الدخان في الهواء يفكر في شكل الحياة مع هذه السيدة التي ستنفرد بزوجته طوال فترة النهار أثناء تواجدهما في العمل.

استيقظا في نهاية الليل وطلب "همام" من أخته إحضار العشاء إليهما في حجرتهما فلم تتوان فهي تريد سعادة شقيقها مهما كلفها الأمر.



في اليوم التالي..حضر الجميع ليهنئوهم بعد العودة من رحلة شهر العسل.."منير" وزجته و"فريد" وأمه وابنها "محسن" الذي ارتمى في أحضانها وظل يبكي فلامته خالته على فعلته.

اتخذت "نجاح" وابنتها "وسام" و"ابتسام" جانباً وتجاذبا أطراف الحديث فلامت "ابتسام" على تركها للبيت فقد حضرت زوجة "همام" لتغير نظام البيت كما يروق لها وأن "همام" منصاع لأوامرها ورغباتها وكأنها امرأة لا مثيل لها في الوجود.

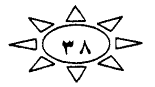
"فريد" ظل يراقب من بعيد حركاتهم داخل بيت عميد الأسرة الذي

نصب نفسه عميداً ليحل محل العم "وسام" بماليته وقدرته على تحريك الأمور بإصبعه الصغير.

جلس "منير" و"همام" في جانب وحدهما فيعدد "همام" في صفات "ضحى" التي يعتبرها هدية قدمها له "منير" وعرض عليه الإقامة في القاهرة لتكون الأختان قريبتين من بعضهما بما يقوي صلة المصاهرة بينه وبين "منير" كما أعطاه شيكاً بمبلغ عشرة آلاف جنيهاً لتأثيث مكتب المحاماة بالزقازيق..رفض "منير" في بادئ الأمر فقال له "همام":-

- ايه يا ابن عمي وعديلي..دول مقدم أتعابك في الشغل اللي هتعملهولي..آه..ما أهو أنا هاحول كل شيكات وكمبيلات مديونيات التجار اللي بيتعاملوا معايا عليك..يعني ده حقك.

وضع "منير" الشيك في جيبه في تردد وقد لاحظت زوجته التي تأكدت أن وجود "همام" في حياة أختها وحياتها سيكون مفتاح السعد عليهما.



في اليوم التالي..جهز الحجرة التي كان يقيم بها "تمام" ليقيم بها " محسن"..زودوها بأثاث جديد ومكتب ومكتبة وجهاز كمبيوتر وبلاي ستاشين وحول أوراقه إلى مدرسة اللغات القريبة من مكتبه فكان يصطحبه معه أثناء توجهه للعمل صباحاً ويمر عليه بعد انتهاء الفترة المدرسية ليصطحبه معه في طريق العودة مما أثلج صدر أمه التي تفننت في إرضاء رغبات "همام" باهتمامها بنفسها وملابسها بل أنها تدخلت في اختيار ملابسه مما جعله يبدو كرجال الأعمال الوجهاء على غير عادته وقد وصل تدخلها في حياته أنها شجعته على إجراء جراحة بقدمه المصابة مما كان له أثره في إصلاح مشيته التي بدت طبيعية إلى حد كبير.

تدخلها في كل شيء في البيت يثير "نجاح" وابنتها "وسام" فقد غيرت من نظام البيت بالشكل التي تريده وكان "همام" يشجعها ويردد عبارة طالما آلمت أخته وابنتها..فيقول:-

- انتي ست البيت كله واللي تشوفيه اعمليه من غير ما تشوريني ولا تشوري أي حد.

بل أن الأمر ازداد تفاقماً فقد شكا "محسن" لأمه من وحشة يشعر بها في الحجرة التي يقيم بها..وكانت "ضحى" على علم من أختها بموضوع مقتل "تمام" في تلك الغرفة فشكت الأمر لـ "همام" الذي لم يتوان هو الآخر بإبدال الحجرات فأعطاه حجرة "وسام" ابنة شقيقته وأرغم "نجاح" على أن تجعل ابنتها تقيم في غرفة "محسن" مما جعل الكيل يفيض بها وبزوجها "سمير"..فلا مفر..وعليهم الرضوخ لصاحب البيت والشركة والمال.

٣٩

حضر إليه في الجريدة..نظر إليه "فريد" في دهشة وسرعان ما بكى فسأله "فريد" في لهفة:-

- إيه يا سيد..إنت كنت فين يا ابني الفترة اللي فاتت دي كلها.

رجاه "السيد كوكا" أن يرافقه حتى المستشفى وعندما استفسر عن الأمر..أخبره أن "وداد" في حالة مرضية متأخرة وأنها طلبت منه أن يأتي بـ"فريد" لأنها تريد رؤيته.

انطلقا بسيارة "السيد" و"فريد" في ذهول..يقول في نفسه

"راجل إيه ده اللي عاوزني أشوف مراته" فباغته السيد قائلاً:-

- وداد لسة بتحبك يا فريد..هي مراتي بصحيح وما شفتش منها حاجة وحشة لكن كل فولة وليها كيال وانت طول عمرك أحسن واحد فينا إنت واخواتك وولاد عمك.

أطرق "فريد" ولم يعلق.

وصلا إلى المستشفى..دخل "فريد" يجرجر قدميه..ماذا سيكون شكل هذا اللقاء بعد تلك الفترة الطويلة..لكنه تذكر أنها صاحبة موقف معه لم يصدر منها ما يؤرقه أو يزعجه..فتشجع حتى وصل إلى حجرتها وفتح "السيد" باب الحجرة وجعله يدخل ثم أغلق الباب وانتظر خارجاً.

اعتراه الوجوم عندمارآها..وجهها منتفخ بشكل مثير للاشمئزاز..لكنه اشار عطفه..فتحت عينيها وابتسمت ثم مدت يدها في إعياء فأمسك يدها في تردد..قالت وهي تخرج الكلمات في صعوبة:-

- شفت اللي جرالي يا فريد..شفت الزمن لما جه يضحك لي..ضحك عليا..أيام الفقر مع الشيخ

محمد كانت حلوة..النفس راضية باللقمة الصغيرة المتغمسة براحة البال..دلوقت اللقمة المتغمسة باللي كانت النفس تشتهيه..جابت البلا معاها..فيروس في وجبة من اللي بيسموه "تيك اواي" عام في جسمي ولخبط كياني..كل جسمي زي ما انت شايف..بقيت زي الحيوانات الميتة والمنفوخة اللي كانت بتبقى على شط الترعة في بلدنا..وحشتني الزقازيق أوي.

قبل يدها وفرت الدموع من عينيه وشد من أزرها..ثم قبلت يده ووضعتها على صدرها وقد بدا تنفسها غير طبيعي..لم يحتمل هذا اللقاء الذي لم يختر بباله يوماً..جلس بجوارها وشريط ذكرياته معها يمر أمام عينيه منذ أن لفتت نظره ..أول مرة عندما كانت تستحم حتى الأيام التي عاش كل منهما في كنف الآخر.

٤٠

عاد إلى البيت يجرجر قدميه متخاذلاً..قابلته أخته "وسام" ولاحظت ما يزعجه فسألته..قال لها في عدم وعي وهو ينظر إلى ساعة يده:-

- الدقايق جرت الثواني..و كونت ساعات

والساعات كونت أيام..والأيام كونت سنين..واللي فاتت الواحد بيفتكر إنها أوحش..لكن طلعت أحسن سنين..والمستقبل اللي كنا فاكرين إن أيامه وسنينه هتبقى بسمة..كانت غيب مخبي وراه قدر..صعب الإنسان يتخيله أو يتحمله.

ظلت تنظر إليه في ذهول وتقول:-

- دي لغة جديدة في فلسفة الحياة مش كدة.

جلس وهو منهك القوى وظل ينظر إلى جدران المنزل ويردد في هستريا:-

- أهي الجدران دي حاوية ساعات بنعيشها من عمرنا وإحنا في أحسن حالاتنا..أنا وأختي الصغيرة اللي كانت حلم وربنا حققه..ياترى الجدران دي هتشوف إيه تاني في حياتنا..أكيد فيه قدر مستخبي فيها.

جلست بجواره وقبلت كتفه وقالت:-

- ياه..ده انت متعبي أوي..من إيه وليه وإيه اللي يستاهل ده كله.

فرت الدموع من عينيه وهي تنظر إليه متعاطفة وتتمنى أن تعرف ما الذي أرقه بهذه الصورة.

٤١

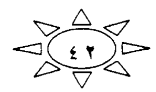
استقر المقام بـــ "منير" في بيت الأسرة الجديد الذي بناه "همام"..خصص الدور الأول لمكتب فخم لـــ "منير" ليمارس مهنة المحاماة..وسكن في الطابق الثالث مع زوجته وابنه..لم يرغب في الإقامة مع أمه في شقتها خشية الاحتكاك بين زوجته وأمه التي هي غير راضية عنها وعن زواجهما حتى الآن.

حول أوراق ابنه "وسام" إلى مدرسة الزقازيق الثانوية العسكرية..مدرسته في المرحلة الثانوية..وقابل هناك أحد المدرسين الذين كانوا يدرسون له مازال موجوداً بالمدرسة فأوصاه خيراً بابنه "وسام".

بدأ في فحص الشيكات والكمبيالات الخاصة بـــ "همام" وبدأ يحضر المذكرات لرفع القضايا ضد المتعثرين منهم وكان "همام" يقدر جهوده فيغدق عليه بالمال الذي كانت زوجته تجمعه وتدخره وتقول له:-

- الزمن غدار..وأديك شفت اللي حصل لبابا الله يرحمه..وفرقة أخواتي البنات اللي فين وفين لما اشوفهم..أنا نفسي يكون لينا بيت لوحدنا ما تضمنش الظروف..أحنا ما نتعداش ضيوف عند ابن عمك.

ينظر إليها "منير" ويهز رأسه بالموافقة على مضض..فكلامها لا يخلو من حقيقة لابد أن يضعها نصب عينيه.



"بسام" قام من نومه مفزوعاً على نداء من خالته..جرى إلى حجرتها مهرولاً فوجدها في حالة يرثى لها..قالت وكأنها تحتضر:-

- الأول يا ابني يا غالي..ربنا هيكرمك باللي انت صابر عشانه والتاني يا ابني..إنك لازم تروح معايا الشهر العقاري في الزقازيق..عشان اكتبلك عقد بيع وشرا صوري بالبيت وحتة الأرض اللي لاصقة فيه والنخلة..أهم حاجة النخلة..ماحدش يشيلها من جذورها غيرك..ومن غير حد ما يكون

يكون معاك..مافهوم يا ابني يا غالي.

ارتدى ملابسه وأسرع إلى باب الشقة لاستدعاء طبيب لعلاجها..وفهضت من بعده "ابتسام" وجرت عليها فرأتها تضحك وتقول:-

- ربنا رايد ينصفك يا بنت سعدية..وبطنك هتشيل وهيطعمك وعمره ما هيحرمك.

عبارتها هزت "ابتسام" بعنف فاغرورقت عيناها بالدموع وقالت في تمني:-

- ربنا يسمع منك يا خالتي.

عاد ومعه الطبيب الذي أكد له أن حالتها حرجة والأمر يعتبر مسألة وقت وقد لا يتعدى أسبوع.

٤٣

في الصباح اصطحبها في سيارته ومعهم "ابتسام" وانطلقوا إلى الزقازيق..توجهوا إلى الشهر العقاري لكنه كان متردداً من قبول عرضها..تم تسجيل الأوراق ثم طلبت منه أن يذهبوا إلى مترلها في القرية..ظلت تنظر إلى البيت وكأنها تراه لأول مرة..ثم توجهت

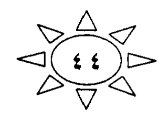
إلى النخلة واحتضنتها وقبلتها ثم رفعت عينيها إلى السماء..لم تطرح كسابق عهدها فبكى "بسام" عليها..استدارت ناحية المندرة وجلست على المصطبة ووضعت رأسها على كفها ثم نامت..ظل "بسام" ينظر إليها في تأثر..أدرك أن رحلة عمرها الطويلة في ذلك البيت أصبحت على مقربة من النهاية..هل هي نادمة على تنازلها عن البيت؟!..اقترب منها ليخبرها أنه على استعداد لفض اتفاقهما حتى لا تكون غاضبة..لكن وافتها المنية وهي جالسة على وضعها الذي كانت عليه..وكألها عزمت بين نفسها على ألا تموت إلا في بيتها.

هرول إلى الجيران الذين لم يتوانوا عن مساعدته في إجراء مراسم الدفن ووارواهـا إلى جوار أمه.

اتصل بشقيقه "همام" وابن عمه "سمير"..فتحجج "همام" بحجة واهية – مع أنه صاحب واجب– وحضر "سمير" على الفور في صحبة زوجته واتصل بشقيقيه "منير" و"فريد" الذين لحقا بهم..وأقيم سرادق العزاء بجوار مترلها تكريماً لها.

مع بزوغ الشمس كان هو وزوجته في طريق عودهما إلى القاهرة ومعهما "فريد" الذي بدا متأثراً للحالة التي اعترت "بسام" فقد ظل واجماً طوال الطريق ثم انفجر في البكاء قائلاً:–

■ كانت من ريحة أمي..وقلت ربنا هيعوض عليا ببركتها..لكن مافيش حاجة تكتر على الخالق.



عقد عزمه وأدخلها شريكة في شركته مما أثار حفيظة "بسام" و "سمير"..شعرا أنها أخطبوط مد أذرعه إلى "همام" وبدأت تتدخل في أمور كثيرة..غيرت شكل البيت مما قلص الجزء الذي يقيم فيه "سمير" مع زوجته "نجاح"..قسمت المطبخ قسمين..أحدهما لها والآخر لـ"نجاح" وزوجها..ابنها لا يقبل على الطعام الذي تطهوه "نجاح" لا يفضل سوى أكل أمه..فبدأت تطبخ لها ولزوجها ويأكلون وحدهم على منضدة خاصة..خصصت لها جانباً من البيت.."نجاح" تشعر بالغربة في بيتها..أو بيت أخيها..مما جعل "سمير" يفكر جدياً في مغادرة الفيلا ويقيم مع ابنته وزوجته في سكن يخصهم..وبالفعل فعل "سمير" ذلك مما أغضب "همام" فشقيقته "نجاح" تمثل له دور الأم الحنون..ولكن "ضحى" اصطادت في الماء العكر فاستحسنت الفكرة وضغطت على "همام" بالموافقة فوافق على مضض.

استقر المقام بـ "سمير" وزوجته في شقة متواضعة لكنها غمرت نفسه

براحة مطلقة وسعدت ابنته بتلك الخصوصية فهي لم تعد تطيق زوجة خالها ورحب "بسام" بتلك الفكرة بعد أن نكث "همام" العهد الذي بينهم وقد تغير حاله، فأصبح صريع التفكير الطويل والعمل البطيء..يحضر إلى الشركة يوم في الأسبوع وباقي الأيام في رحلات مع زوجته وابنها.

٤٥

"فريد" يتأثر بما يدور حوله من أحداث داخل الأسرة.."منير" وزوجته أخذا جانباً من أمه وهي الأخرى تتفادى الاحتكاك بزوجته..لم يفكر "منير" يوماً أن يعد وجبة غذاء لأمه مما تطهوه زوجته..فالأم باتت تأكل معلبات تترل السوق وتشتريها بنفسها.
"سمير" و"نجاح".."بسام" و"ابتسام"..أصبحت علاقتهم بـــ"همام" على وشك الانهيار..يجمعهم العمل فقط..بعد أن كانوا جميعاً يعيشون في بيت "همام" والأسرة التي خارت قواها وضعفت مبادئها من جراء اقترانه بتلك "الضحى" التي دخلت الأسرة لتفرق أوصالها.
ذهب في زيارة إلى "همام" في مترله فقابلته "ضحى" استقبالاً حافلاً وكذلك "همام" وأعدت وجبة متنوعة من الطعام على مستو راق.

لاحظ أن "ضحى" تنظر إليه بنظرات يفهم مغزاها في عالم المرأة قال في نفسه "كلهم عاوزين رصاصة تندب في عينهم".

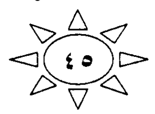
بعد الغذاء..اختلى بــ"همام" وظل يلومه بطريقة دبلوماسية على الأسرة التي بدأت تتفكك..وكم دفع الغالي والنفيس في سبيل جمع أسرته..فوجئ بــ "همام" يقول :-

- أنا كنت معاهم كلهم يا فريد..أخوك سمير ابن عمي العاقل..عام على عوم اختي وبنتها..وبسام عام على عوم مراته العقربة ابتسام..مش عاوزين يعرفوا ان نوعية مراتي تختلف عن نوعيتهم وتربيتها تختلف عن طريقة تربيتهم..دي بنت ناس يا فريد.

اكفهر وجه "فريد" وتأكدت ظنونه تجاه "ضحى" الحية التي زرعتها زوجة "منير" داخل الأسرة.

في الجريدة..حضر إليه "السيد كوكا" يبكي "وداد" فرافقه إلى الزقازيق ليواريا جسدها في مقبرة أم "السيد" وخالته..كانا اثنين..لا معزيين..لا أقارب..لا عزوة..بكاها..بكى أهل حيه في الزقازيق..أغلبهم ضعاف لا عزوة لهم..يعيشون غرباء ويموتون غرباء

وقف على قبرها يبكي في قلبه..خشي أن يرى السيد دموعه على حبه لزوجته..تذكر أياماً جميلة قضاها معها..أيام كان يمحروها الدفء والنظافة..لم يغضب الله في علاقته بها..وداعاً "وداد".



انتهى العام الدراسي ونجحت الشقيقة "وسام" و"وسام" ابن "سمير" و"وسام" ابن "منير" الذي التحق بكلية الآداب جامعة المنصورة قسم تاريخ..وقد ألحت عليه أمه للتقدم لكلية الشرطة فلم يوافق.

حملت "ابتسام" زوجة "بسام" الذي كاد يطير فرحاً..تحققت نبوءة خالته قبل أن توافيها المنية وعندما علم "همام" أصابه الوجوم وتسرب الإحباط إلى نفسه..كيف يكون هناك طفل امتدادا لاسم أسرته من تلك المرأة رفيقة نسوة السوء "أحلام" و"إلهام"..وقد أثلج الأمر صدر شقيقته "نجاح" فهي تحب "ابتسام" وتوقرها بل وكرست وقتاً لخدمتها أثناء الحمل.

توجهت "وسام" الشقيقة إلى الجريدة لتتدرب على أعمال الصحافة وقد احتضنها "سامي" وجعلها أشبه بسكرتيرة له مما أثلج

صدرها..لن تجد تلك الرعاية إذا ما ذهبت إلى جريدة أخرى.

كان "فريد سعيداً بدخول اخته إلى هذا المجال..لكن الأم كانت غاضبة..فقد كانت تعد الأيام لترافقها ابنتها وتؤنس وحدتها في إجازتها الصيفية بعد أن تسرب الملل إلى حياتها..فعرض عليها "فريد" أن تقيم معهم بالقاهرة لكنها رفضت وآثرت أن تعيش وحيدة وتردد دائماً:-

- آدي اللي بناخده من خلفة العيال..ليا تلت رجالة وكل واحد منهم ملهي في حاله والبنت اللي طلعت بيها من الدنيا اشترت دنيتها وباعتني.

أثرت فيه حالة أمه..ولام "منير" الذي لا يفصله عن أمه غير طابق واحد وهو بعيد عنها..لكن "منير رد عليه قائلاً:-

- ماهي ما بتريحش حد وانت عارف موقفها من مراتي..أنا مش ناقص مشاكل يا فريد.

احتد عليه "فريد" قائلاً:-

- يعني أيه..نسيبها كدة لحد ما تموت وماحدش يحس بيها يا اخويا يا كبير.

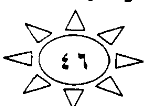
أطرق "منير" لحظة ثم قال

- تعالى أقعد معاها انت واختك وسافر كل يوم..المشوار ما بياخدش من الزقازيق لمصر ساعة.

لم يكن أمام "فريد" سوى الإقامة مع أمه هو وشقيقته "وسام" إلا أنه فوجئ بأنها لا تريد الإقامة في الزقازيق..فهي تجد ذاتها في العمل بالجريدة مما جعله يهددها بعدم ذهابها للجريدة مرة أخرى فرضخت لمطلبه حتى لا يحرمها من آفاق عالم جديد تجد فيه ذاتها.

انتهى الأمر بإقامتهما مع أمهما وتحمل السفر يومياً من الزقازيق إلى القاهرة حيث كان يصطحب "وسام" في الصباح الباكر ويعودان ليلاً.

شعرت الأم بشيء من الأمان بعد وجود ابنها وابنتها بجوارها وارتفعت معنوياتها وبدأ النشاط يدب في حياتها من جديد..فكانت تنزل إلى السوق وتشتري الخضار والفاكهة واللحوم والطيور لتعود لتتناول طعاماً طازجاً مع ابنها وابنتها.



انتهت الإجازة الصيفية..بكت "وسام" عندما تركت الجريدة

وعادت إلى الجامعة مما أثار دهشة "فريد" الذي كان يظن أن حياة الجامعة تمثل لها حياة منطلقة بين زملائها وزميلاتها وبدأت التساؤلات تدور في ذهنه ولم يخطر بباله أنها قد تعلقت بـــ "سامي" الذي يكبرها بعشرين عاماً.

عندما توجه إليها بالكلية ليسافرا سوياً إلى الزقازيق..فوجد "سامي" ينتظرها بسيارته أمام الجامعة..جن جنونه عندما وجدها تخرج من الجامعة لتلقي بنفسه داخل سيارته وينطلق بها.

استقل سيارة أجرة على وجه السرعة وتتبع خط سيرهما..حتى وصلا بيت "سامي" ونزلا من السيارة وصعدت معه إلى شقته..فانتظر حتى استقر بهما المقام في الشقة وانطلق إلى الطابق الذي يقطن به وظل يضغط على الزر في عصبية بالغة..فتح "سامي" الباب وجد "فريد" فأصيب بحالة ذهول وقال إليه:-

- اتفضل يا فريد.

نظر "فريد" إلى أخته التي قامت مفزوعة من على الأريكة وقد بدت نائمة استعداداً لاستكمال صورة كانت تتصدر البهو..رَسمها لها "سامي" وهي نائمة على الأريكة..فانطلق نحوها وصفعها على وجهها

وحاول "سامي" منعه فدفعه "فريد" بقوة وظلت "وسام" تصرخ وتولول فجذبها من يدها فظلت تبحث عن حذائها وخرجت معه وقد اعترها حالة من الرعب.

٤٧

توجها مباشرة إلى محطة السكة الحديد وركبا القطار ولم تجف الدموع من عينيها وما أن وصل القطار إلى محطة الزقازيق..جرت من أمامه وألقت بنفسها في سيارة أجرة فجرى هو الآخر إلى سيارة أجرة وانطلق خلفها.

لحها وهي تنزل من السيارة وتدخل إلى البيت مسرعة فلحق بها على سلم البيت وأمسك بشعرها فظلت تصرخ..خرجت زوجة "منير" وحاولت تخليصها من يديه فجرت إلى شقة أمها وأغلقت الباب فصعد وراءها وظل يركل الباب بقدميه..ففتحت أمه الباب وصرخت في وجهه قائلة:-

- فيه إيه يا مجنون..هتموت البت.

أغلقت على نفسها الحجرة فحاول كسر الباب وسط حالة من الصياح والهياج فلحق به "منير" وحاول تهدئته و"فريد" يصرخ

ويكاد قلبه يتوقف ويقول:-

■ لازم أموها الفاجرة..يلعن اليوم اللي أمك جابتها فيه.

جلس وقد امتلأت عيناه بالدموع وجلس "منير" بجواره يحاول تهدئته والاستفسار عن الأمر فبدأ يحكي لهم في حالة هستيرية ما رآه وما صدر منها.

كان موقف الأم عجيباً ومذهلاً وصدمهم عن العبث بشرف ابنتها وكأنها ليست أختهم..وقفت في صفها ورضخت لبكائها.

"فريد" ساورته الشكوك فهل أخطأت مع هذا الوقح الذي كان مثله الأعلى والذي فقأ عين غريمه ودخل السجن؟!..لم ينم طوال الليل وتذكر موقف "همام" مع شقيقته "صباح" لمجرد علمه أنها أحبت..لم تخطئ..لم يجدها في أحضان عشيقها ولكنه ثار ثورته..وأمه لم ترضى بما وقعت فيه ابنتها في زمن كان الشرف فيه غالياً بعكس ما فعلت أمه التي تعتبر ما حدث شيئاً عادياً.

حقبة الثمانينات التي لم تنتـه بعد كانت أكثر تحرراً من حقبة السبعينات والستينات التي سبقتها..ترى هل تعلقت "وسام" بهذا الرجل المتصابي..لامها من قبل على تعلقها بشاب من سنها مؤكداً لها

أن ذلك لا يتعدى وصفه "بحب عيال"..الآن هي في مرحلة مراهقة من شكل خاص..هل تعتبره امتداداً لأبيها الذي حرمت منه وقد عوضها "سامي" عن حنان هذا الأب..تساؤلات كثيرة تدور في رأسه الذي كاد ينفجر من التفكير..إنها مسئولية..هي أخته..شرفه وعرضه فهل يمر الموضوع مرور الكرام.

حضر "سمير" بناءً على استدعاء من أخيه "فريد" واجتمعوا بالأم ومعهم "منير" للنظر في أمر أختهم..قال "فريد":-

- نحولها في كلية آداب الزقازيق وتخش أي قسم.

تسمع كلامهم وهي في الحجرة وتصرخ وتقول:-

- لأ..أنا مش هاسيب كليتي..أنا مش لعبة في إيديكم.

نظر "سمير" إلى أمه وقال:-

- يعجبك طريقة كلامها دي يا أمي.

وعقب "منير" قائلاً:

- البت دي لازم تتلم شوية.

صاحت الأم في وجوههم قائلة:-

- حاسبوا حاسبوا..ما هي لو أختكم من أبوكم

وتحمل اسمكم ما كنتوش عملتم فيها كدة..دي بنت
يتمية وتحكمكم فيها بالشكل ده ما يرضيش ربنا.

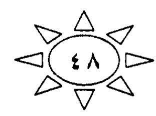
نظر الثلاث أخوة إلى بعضهم في عدم رضا..ثم نهض فريد وهو يقول في عصبية:-

- خرجوني أنا من الموضوع وأهو انتم برضة أخواتها.

اقترح "منير" أن تذهب إلى الكلية في القاهرة على أن تحضر يوميا..ووافقه "سمير" على الرأي..قالت الأم وهي تبكي:-

- بقى كدة يا فريد..تمرمط أختك في السفر كل يوم
عشان مش عاوز تتحمل لقمتها وهي معاك.

ثم نهضت تي الأخرة وهي تمهمهم بالكلام في عدم رضا.



ذهب إليه في الجريدة وقدم استقالته..فأمسك بالورقة وضحك وقال:-

- كل ده عشان إيه يا فريد يا راجل يا متفتح.

قال "فريد" في عصبية:-

- أنا فلاح مش متفتح..ومادرتش على الشغل بتاع

أمثالكم ياللي قاعدين في القاهرة وكل حاجة عندكم مباحة.

قال "سامي" معاتباً:-

■ ده أنا لو كنت اتجوزت كنت خلفت قدها يا فريد.

قال "فريد" في أسى:-

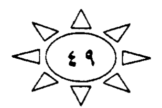
■ للأسف الأمر بالنسبة لها مش كدة..دي لسة مراهقة وممكن تتعلق بيك.

"سامي" في تفاخر وقال:-

■ خلاص يا أخي..نعمل اتحاد وطني بين الشعب العامل والطبقة الرأسمالية القديمة والطبقة المتوسطة الحديثة بالحلال.

نهض "فريد" في عصبية وقال:-

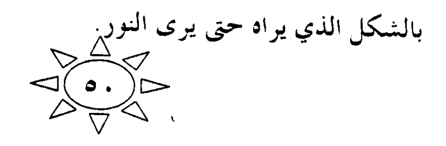
■ أيوة قول كدة..شبعت من المارون جلاسيه وعاوز تحدق بحتة جبنة والا حتة لفتة..لكن ده بعدك..استقالتي قدامك قبلتها أو ماقبلتها أنا سايبلك الجونال ترمح فيه زي ما انت عاوز.



حصار على الشقيقة "وسام" من أخيها "منير" في البيت..يتابع ذهابها صباحاً وعودتها مساءً من الجامعة و"سمير"الذي يذهب إلى الكلية للتأكد من وجودها ومراجعة جدول محاضراتها..أما "فريد" فقد نفض يده مؤقتاً من الموضوع..ليس من قبيل عدم الاهتمام ولكن من الهم الذي يلاحقه.

التحق بمجلة "لآلئ النجوم" ليكون كبير المحررين بها بالقسم الفني..كانت فرصة له أن يكمل السيناريو الذي بدأه منذ فترة..أعاد صياغته ليقدمه للتليفزيون في حلقات مسلسلة بعنوان "أبناء العم وسام"..حكى من وجهة نظره حياة أسرته التي بدأت في مدينته الصغيرة حتى ترعرعت وتشابكت أغصانها..كتب فيه كل ما تخيل حدوثه ولم يحدث..بل أنه تنبأ بأشياء ستحدث في المستقبل وقد حصل على موافقة الرقابة لما قدمه من فكرة وملخص ومعالجة..وقد فوجئ بتقرير الرقابة بحذف ما يتعلق بجمال عبد الناصر وأنور السادات من وجهة نظره الخاصة على أن يعيد صياغتها متضمناً الإنجازات دون السلبيات..فسحب عمله معترضاً وأصر على إكماله

بالشكل الذي يراه حتى يرى النور.



اتصال تليفوني من العقيد "حسان" بأمن الدولة بـ "منير" يحذره من انخراط ابنه "وسام" في جماعة متطرفة في الجامعة بالمنصورة..مما جعله يجن جنونه وظل يراجع أفكاره..لماذا أصر ابنه على الالتحاق بجامعة المنصورة مع وجود كلية مناظرة بالزقازيق؟!..فكر أن يخبر أمه لكنه تراجع.

سافر إلى المنصورة وذهب إلى شقتهم التي كانوا يقيمون بها والتي يقيم فيها "وسام" بمفرده الآن..صعد إلى البيت وطرق باب الشقة فلا مجيب..خرجت الجارة وأخبرته أنه ترك الشقة منذ أسبوعين فكاد أن يجن..إنه ولد واحد فكيف غفل عن متابعته..جرى إلى الجامعة فلم يجده سأل أحد زملاء دفعته بالكلية..أخبره أنه يعتكف في مسجد بإحدى قرى المنصورة ومعه بعض طلبة الجامعة..جرى إلى المسجد فعلم أنه خرج لتوه مع زملائه ولا يعرف أحد وجهتهم.

ذهب إلى مكتب زميله ضابط مباحث أمن الدولة..قال له:-

- أنا مش عاوزك تقلق..أنا بس حبيت ألفت نظرك..على فكرة أنا تعبت عشان أعرف تليفونك في الزقازيق.

ابتلع ريقه وقال وهو منكسراً:-

- أنا عشمي برضة فيك خير..إحنا دفعة.

قال ضابط المباحث:-

- إحنا راصدين تحركاهم..همّا جماعة جديدة اسمها فجر الإسلام وهدفهم مجرد التبليغ بالدعوة لحد دلوقتي ما صدرش منهم أي موقف مضاد للدولة.

قال وهو في حالة إعياء:-

- طب حضرتك شايف ايه؟.

قال ضابط المباحث:-

- تدخله كلية الآداب فرع الزقازيق عشان يبقى قدامك عينك والشقة اللي هنا يا ريت تتصرف فيها عشان ما يبقاش فيها خط راجعة.

قال وهو يضغط على أسنانه:-

■ بس ألاقيه فين دلوقتي.

قال ضابط المباحث في تأكيد..أنه سوف يحضره عن طريق أحد مخبريه الذي يرصدون تحركاقم وسوف يبلغه حتى يحضر لاستلامه.

دخل البيت حزينا..استفسرت زوجته عن سبب سفره المفاجئ إلى المنصورة فأبدى أسبابا واهية ثم دخل حجرته وألقى بنفسه على سريره يفكر في أمر ابنه الوحيد..وما الذي دفعهإلى هذا الاتجاه..إنه يرحب بفكرة تبحره في أمور الدين لكن الأمور تفسر بطريقة مختلفة في ذلك الوقت فالاتجاه الديني يبدأ بالدعوة..انتهى بالخروج عن نظام الدولة مما جعل أغلبهم وراء جدران السجون ماذا لو ضل ابنه وأصبح واحدا منهم..هو ليس ضابطا..ولكنه كان..وسيعاب عليه أن يخرج ابنه من عباءته وهو سليل أسرة شرطية..أبوه وجده ضباط شرطة وجد والدته كان كونستبلاً في الحرس الملكي.

٥١

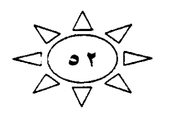
في المساء اتصل به ظابط المباحث وطلب منه استلام ابنه عن طريق فرع مباحث أمن الدولة بالزقازيق حيث تم ترحيله إلى هناك..جرى

دون أن يخبر زوجته..رآه يبكي..وقد أطلق لحيته الخفيفة التي أشبه بزغب الكتاكيت..استلمه..لم يتجها للبيت مباشرة بل أخذه إلى أحد المقاهي وظل يتحدث معه وهو يلتزم الصمت ثم قال إليه:—

- يا ابني أنا كان ليا وضع ما تحاولش تهزه بأنانيتك..لا انت ولا اللي معاك هتصحلوا الكون..اسمع كلامي يا ابني أنا ليا خبرة في الحياة..يا ما ناس راحو ورا الشمس..هم الخسرانين وعمر الدولة ما هتخسر..ما تضربش دماغك في الحيط لأن انت اللي هتكون مضرور.

راح يبكي بحرقة ولا يعرف أبوه سبب بكائه..هل ندم..هل لأن أمره انكشف أمام أبيه..أم لأن التنظيم قد تم كشفه ورصد تحركاته قبل أن يحققوا هدفهم.

اصطحبه إلى البيت وقد اتخذ قراره بأن ينقله إلى الزقازيق رغماً عنه..فرضخ لمطلب أبيه لكنه التزم العزلة في حجرته أياماً طويلة وأمه لا تعرف سبب ما أصابه من اكتئاب.



أجاد الله على "بسام" و"ابتسام" بمولود "ولد" سمياه "نشأت"..كانت فرحتهما لا تقدر..مما اثلج صدر عمته "نجاح" وزوجها "سمير" وسبب اكتئاباً لـ"همام" الذي كان يظن الجميع أنه سيسعد به ليحمل اسم ابيه..وكادت "زينات" تطير فرحاً حتى قال لها "بسام":-

- وشك حلو علينا يا زينات يا بنت الناس الطيبين.

قال ودموع الفرحة تتساقط من عينيها:-

- يعني أنا دلوقتي بقيت خالة.

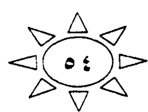
ذهب "فريد" وأمه وأخته "وسام" لتهنئة "بسام" و"ابتسام" على ما أجاد الله عليهما بعد صبر طويل.

٥٣

شركات توظيف الأموال..بدأ ينكشف ستارها الديني الذي تختبئ وراءه وسقطت دعائمها بعد أن أعلنت وسائل الإعلام ..التحالف الذي تم بين الريان والسعد..كُلف "فريد" بتغطية هذا الموضوع

وذهل لما اكتشفه من أموال تكدست لدى تلك الشركات تبدأ من جنيهات قليلة إلى ملايين من الجنيهات أغلبها من العاملين بالخارج..ملف أغلق أمام المدعي الاشتراكي والمودعين يخبطون رأسهم في الحيط وكأن الحكومة تأدبهم لعدم إيداع أموالهم بالبنوك الوطنية.

حزن حزنا شديدا لحال المودعين الذين ألقوا بأنفسهم في أحضان الدعاية التي تشيد بتلك الشركات والجرائد المستقلة التي تبحث عن الحقبة التي مازالت مختفية من الزمن.



صورة الشباب بالأسرة بدأت تتبلور.."وسام" ابنة "سمير" حصلت على البكالوريوس في الاقتصاد من الجامعة الأمريكية وساعدها خالها "همام" للالتحاق بأحد البنوك.

"وسام" الشقيقة حصلت على ليسانس الآداب قسم الصحافة والتحقت بالجريدة التي يعمل بها شقيقها "فريد" وعادت لتقيم معه

واصطحب أمه لتقيم معهما.

"وسام" ابن "منير" مازال متعثراً في الدراسة في كلية الآداب..ينجح سنة ويرسب الأخرى وقد تخلى عن أفكاره بصورة مؤقتة حتى تحين له الفرصة لينفس من خلالها عم تربو إليه نفسه التي أصبحت مريضة.."زينات" التحقت بكلية الطب..و"محسن" ابن ضحى أصبح طالباً بكلية الهندسة..انتقل "منير" إلى القاهرة ليقيم مع "همام" في شقته مما أثلج صدر الأختين اللتين جمعتهما الأيام مرة أخرى تحت سقف واحد وراحا يرسلان لشقيقتيهما الصغيرتان "نور وأميمة" ليأخذا بيديهما من حالتهما البسيطة..نور متزوجة من مدرس لغة إنجليزية..و"أميمة" متزوجة من موظف صغير في أحد بنوك "الفشن" بني سويف فكانتا تزوريهما مرة كل أسبوع بالقاهرة وأسعد هذا الأمر "منير" و"همام".

البيت الذي كان تجمعاً للأسرة أصبح خاوياً..يصرخ من القطيعة..بعد أن تركه الجميع وتوجهوا إلى القاهرة حيث المستقبل ودورة المال السريعة.

شده الشوق لزيارة الزقازيق..ركب القطار كعادته الساعة الرابعة

عصراً من القاهرة..توجه إلى البيت ونظر إليه متعاطفاً معه..رحب به أهل الشارع كعادقم ولاموه هو وأخوته وأبناء عمه على تركهم لمسقط رأسهم..بلغه "رجب" أنه إذا قرر "همام" وأخوته بيع البيت هو على استعداد لشرائه..شعر ساعتها أنهم انفصلوا عن الشارع بل من البلد كلها فاغرورقت عيناه بالدموع وظل ينظر إلى كل مكان في الشارع وقد حمل ذكريات أجمل أيام عمره .طفولته وصباه وقد أوشك على مشارف الأربعينات من عمره.

ثم عرج ناحية زميل طفولته "علي بطة"..وجده ومعه ابنه الذي أنجبه من "إلهام"..ولد وسيم وأنيق يبلغ من العمر العاشرة تقريباً وفوجئ بترحاب بالغ منه ومن زوجته..توسعت تجارته وخصص الدور الثاني من عمارته معرضاً كبيراً..عرف منه أن أمه ماتت..أخبره أنه اشترى قطعة أرض وبنى عليها مقابر لأسرته..قال في شجن:-

- الزمن غدار يافريد يا صاحبي..يبقى لنا سكن وتجارة ومال..وترب نتدفن فيها وندفن فيها أهالينا.

وما هي إلا دقائق وحضر "إبراهيم بقو" راكباً سيارة نقل محملة بالثلاجات والبوتاجازات والتليفزيونات..قابله هو الآخر بترحاب

بالغ..عرف أنه تزوج من أحدىشقيقات "علي بطة"..عرف من خلال حديثهما أن "بقو" يحضر تلك البضائع من ليبيا عن طريق مطروح..حيث اشتروا مخزناً كبيراً لتخزين البضائع المهربة من لبيا..أدرك أننا نعيش في عصر "انفتاح الفهلوة" الذي بدأ في عصر السادات.

دعاه لتناول العشاء معه ليعيدوا ذكريات الطفولة وأيام الصعلكة..سرح بفكره لحظة ثم قال:-

- إذا كنت عاوز تعزمني على العشا..نروح ناكل كبدة وحواوشي عند أبو فتفت وإحنا واقفين في الشارع.

ضحك "علي بطة" وقال:-

- في الشارع..يا سيدى ده بقى عنده محلات وبقى على مستوى.

قال "إبراهيم بقو" وهو يبتلع ريقه:-

- خلاص أنا اللي هاعزمكم.

ركب سيارة "علي" بجواره..وجلس "بقو" في الخلف وانطلقوا إلى شارع "مولد النبي"..ركن السيارة ثم دخلوا إلى المحل وتناولوا العشاء

من كبدة وحواوشي وقد امتلأت عيني "فريد" بالدموع على زمن يتقدم بسرعة مذهلة ولن يعود إلى الخلف..بعد أن خرجا من المحل راح "فريد" ينظر إلى محلات عمر أفندي ويتذكر سينما الوطنية التي كانت مكانه..لاحظا وقال "علي":-

- والله زمان يا سيما..فاكر لما دخلنا فيها فيلم اسماعيل يس في مستشفى المجانين في العيد الكبير.

قال "علي بقو" في شجن:-

- والا حلقات شاذام ومغامرات نايوكا وأفلام طرزان وزورو.

ثم توجهوا جميعا إلى ثلاجة "عم وهبي" بجوار الجناين..نفس الثلاجة الصفيح ويكسر الثلج على المثلجات المتنوعة..تذكروا مشروب "كينيتو وفيمتو وليموناتا وسيجانوس وسترو"..قال "علي":-

- كان نفسنا نشرب سباتس أو سيدر لكن كانت بتلاتة صاغ ونص..كانت غالية علينا..فين دول دلوقتي..اشتري الإزازة ولو بعشرة جنيه.

تنهد "فريد" وقال:-

- كانت أيام..رغم الفقر اللي كان سايد البلد.

قال "إبراهيم بقو":-

- داهية فيها أيام..ربنا ما يرجعها كنا محرومين من كل حاجة.

قال "فريد" مؤكداً:-

- كان حال الناس كلها في نهاية الخمسينات والستينات..النهاردة كله طلع من جحور الفيران وبقى صاحب راسمال.

ثم نظر إليهما بعد أن تغيرت ملامح وجهيهما:-

- ماتأخذونيش يا صحبة الزمن الجميل

لمحها تسير مع أمها "نهاد" كما هي..نفس قوامها وأناقتها كأنها لم تتزوج..كاد قلبه يقفز من مكانه..حب لم يدم طويلاً لكنه استحوذ على كل مشاعره في وقت كانت فيه المشاعر ذات قيمة..قلوب خضراء..لا تعرف إلا الحب ذاته لم تدنسها تجارب الزمن المريرة.

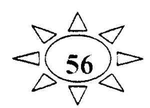
ظل يتابعها بعينيه حتى غابت عن النظر..لم تره..ماذا لو كانت رأته هل مازال قلبها ينبض بحبه.

كان يوماً جميلاً وعليه أن يلحق بآخر قطار لكن "علي وإبراهيم"

تشبثا به وصمما أن يبيت الليلة عند أحدهما فكلاهما يمتلك شقة كبيرة ذات خمس حجرات..لكنه أصر على السفر فلم يخبر أمه وأخته أنه سيقضي الليلة خارج البيت لكن "علي" أصر أن يصطحبه حتى القاهرة بسيارته الخاصة.

في الطريق من الزقازيق إلى القاهرة ظل الثلاثة يتبادلون الأحاديث عن فترة طفولتهم الجميلة رغم تعاسة حياتهم المعيشية..ذكره "علي" بصديق طفولته "حبيب" وأبلغه أنه أتى في زيارة وسأل عنه ثم سافر مرة أخرى إلى أستراليا..كان يود أن يراه صديق جمعته به ذكريات طفولية بريئة جمعتهما على حب الله رغم اختلاف ديانتهما لم يفكر يوماً أنه مسلم وهو مسيحي لم يكن هناك مجال للخوض في أحاديث في مثل تلك الأمور في زمن جميل لا ينطق إلا بمعنى واحد..مصريتهم وعروبتهم..لم تختلف الأفكار..إلا في الوقت الحالي وكأنهما شقيقان دخل الشيطان بينهما ليفتت علاقة الأخوة النقية.

وصلوا إلى القاهرة..اصطحباه حتى البيت وتواعدا على الزيارة فنسيج الزمان لا يبلى بمرور الأيام بل يصبح أكثر متانة مهما اختلفت الأفكار وتضاربت المصالح.



معركة حامية الوطيس دارت بين "بسام" و"همام" بعد أن كلف "فوزي" زوج "أميمة" شقيقة "ضحى" أن يكون مراقباً لحسابات الشركة..بل أنه توسط لأحد مديري البنوك التي يتعامل معها ونقله ليعمل به وأقام هو وزوجته في فيلا "همام" كلفه "همام" أن يعطي "بسام" و"سمير" نصيبهما من الأرباح في شكل مرتب ثابت شهرياً بعد أن كانوا يتقاسمون الأرباح بمقدار الثلثين لـ"همام" والثلث لهما حسب أنصبة كل منهما في رأس مال الشركة الذي تجاوز الثلاثة ملايين جنيهاً.

التزم "سمير" الصمت في بادئ الأمر ثم قال في هدوء:-

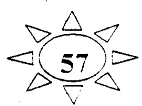
- أنا مش عاوز الفلوس اللي جمعتنا..تفرقنا يا "همام"..إحنا قبل الفلوس في بينا صلة دم..

احتد "همام" عليه هو الآخر قائلاً:-

- بس الفلوس اللي جمعتنا كنت أنا الأساس فيها..يعني راس المال اللي بدأنا بيه كان

عشرتلاف مني ويادوب ألف منك وألف من بسام يا ابن عمي وجوز أختي..واللي ناسي أفكره.

حاول "بسام" مرة أخرى أن يحتد عليه ولكن "سمير أشار إليه بعدم الخوض في مسائل تفرقهم عن بعضهم.



في المساء في بيت "سمير" كانت جلسة بينهما..أكد "سمير" أن "همام" تخلى عن دوره ككبير للعائلة كما نصب نفسه ويجب أن يوضع حداً لعلاقتهم أسرياً ومادياً..فكان قرارهما أن ينفصلا عنه ويحققا مشروعاً كانا يحلمان به..مخرطة حديثة."كارهما" الأصلي فقال "بسام" متحمساً:-

- والأرض موجودة..أرض بيت خالتي..والأرض الزراعية نبيعها ونبني بتمنها الورشة..في بلدنا وننسى إن احنا جينا مصر من أساسه.

فنظرت "نجاح" إليهما في حزن وقالت:-

- يعني ننقطع من أخونا الكبير..اللي طول

عمره ما بخل علينا.

قال لها "سمير" محتداً:-

- قصدك نتقطع من نسايبه..ضحى وأخواتها اللي عايشين في مرتع سي همام.

قالت في حزن:-

- دي أكيد ساحر له.

قال "بسام" محتداً عليها:-

- بلاش الكلام الخايب ده..أنا أخوكي..صحيح أنا الصغير لكن هاعوضكم عن الجفا اللي تسبب فيه بينا..أنا هابني الورشة..والبيت اللي يلمنا على بعض.

قال "سمير" مؤكداً:-

- هو ده عين العقل..وناخد نصيبنا من الشركة.

قال "بسام" مؤكدا:-

- ونخلي المخرطة في الدور الأل والدور الثاني نعمله شقتين كبار..واحدة ليا وواحدة ليك يا سمير.

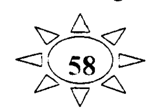
قالت "نجاح" وهي تعتصر من الألم:-

- ونصيبكم هيكفي.

قال "بسام مؤكدا:-

- الأرض الزراعية هتجيب مبلغ كويس أوي..دي أرض جناين إحنا مش عاوزين نضيع وقت..من بكرة انا هاسافر البلد وأشوف مشتري للأرض وهد البيت القديم بتاع خالتي ونبني مكانه على طول.

صمت لحظة وتذكر كلام خالته عن النخلة..فقال في نفسه.."والنخلة ليه خالتي مش عاوزة حد يقطعها غيري..ولوحدي".

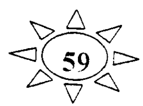


تظاهرا أمام "همام" بأنهما قانعان بما يجود عليهما به من راتب شهري فاطمأن لهما.

ذهب "بسام" إلى بيت خالته وانتظر حتى حان الغروب وبدأ يحفر حول النخلة حفرة عميقة من جميع أطرافها..وجد صندوقاً خشبياً ..أدرك أنه كنز..فتح الصندوق وجد بداخله ريالات فضية وجنيهات ذهبية موضوعة في صرة..حملهما وتوجه إلى سيارته وركبها

بعد أن حل الليل..طوال الطريق يدعي لها بالرحمة..فسمع صوتها يرن في أذنيه ليجيب عن تساؤلاته عن تلك العملات "أنا كنت بأعين العملات اللي ليها قيمة في زمن ما كانش فيه حاجة ليها قيمة..الجنيه الدهب أقل من الجنيه الورق..أنا خفت أعين الفلوس الورق..مصيرها تنتهي وتنتهي قيمتها".

ضحك في نفسه وقال "عندك حق يا خالتي..الفلوس الورق اللي على أيام ما كنتي بتحوشي اللي عليها صورة الملك..بقت مجرد ورق وتذكار..يا سلام على مخك يا خالتي".



ذهب في اليوم التالي لمحل مصوغات ذهبية..عرض ما معه من عملات ذهبية وفضية..فوجئ أنها جميعا لا تزيد عن عشرة آلاف جنيها..ظل يضحك في نفسه ويقول "كان ليها قيمة في زمانك ياخالتي..ودلوقتي يادوب يجيبوا تلاجة على بوتاجاز على تليفزيون ملون من المستورد اللي بنبيعهم..يا عيني على الزمن لما يغطي على زمن بأمواله..وتقل بركتها وقيمتها..كانوا في زمانها بيبنوا مصنع كبير".

عاد بالنقود إلى البيت وظل يفكر..ما الذي يفعله بها لتكون صدقة جارية على روحها..أقسم بين نفسه ألا يأخذ منها شيئا..كفاه ما جادت عليه به من بيت وأرض يقدران بعشرات بل بمئات الألوف .
قرر أن يخصص ذلك المبلغ لبناء زاوية صغيرة على قطعة من أرضها الزراعية وأن يكمل المبلغ من رصيده الخاص ونام مستريح الضمير.

60

الجريدة على قدم وساق..انتهاء حقبة الثمانينيات وأيام تبدأ التسعينيات..كتبها "فريد" على ورقة وقال:-

- سنة ١٩٩٠..رقم مقفول..فكري لما جت سنة ١٩٨٠و ١٩٧٠..كان بعيد عن خيالي..ما صدقتش ان السنة دي جت إلا لما كتبها مدرس العربي على السبورة ١٩٦٠.

بدأ يجهز موضوعاته الفنيةعن أفلام الثمانينيات ونجومها..منهم من مات ومنهم من بزغ نجمه ومنهم منأفل نجمه..على مستوى التمثيل والإخراج والغناء..وبدأت أخته "وسام" تعد موضوعاً فنياً آخر.. تعجب عندما قرأ بروفة ما كتبته..كتبت عن النجوم

وعلاقتهم برجال الثورة..موضوع لم يكن أحد يجرؤ على كتابته من قبل..مع الكتب التي كتبت في هذا المجال وما احتوته مذكرات الفنانات في عصر حرية الكلمة..أي كلمة؟!..كلمات تفضح رموزاً كانت مصابيح تضيء طريق الثورة.

زواج "عبد الحكيم عامر" من "برلنتي عبد الحميد"..زواج رجل الثورة "علي شفيق" من "مها صبري"..علاقة "صلاح نصر" بالفنانات التي بدأت بنشره "اعتماد خورشيد" في المجلات اللبنانية ثم أعقبته بعد ذلك بكتاب يحوي مذكرات تفوح منها رائحة الفساد والخيانة والخسة.

ذكرت كثيراً من الفنانات على هامش مذكراتها.."سعاد حسني" "نجاة الصغيرة" وغيرهما من الفنانين..أعادت للذاكرة علاقة الملك "فاروق" بالممثلة الراحلة "كاميليا" وعلاقته بالراحلة "أسمهان"..كتبت تقول أن عهد الثورة كان امتداداً لفترة الملكية.

راح ينظر إليها في دهشة وقال:-

- بقى الكلام ده كله يطلع من الملاك البريء وسام..بنت امبارح اللي بتوقع على مقالتها باسم وسام وسام.

ظلت تضحك وتقول:-

- تلميذتك يا أخويا..بس الفرق إني مش هأخش السجن زي ما انت دخلت..إحنا في عصر الحرية والانفتاح.

عاود النظر إليها..يشفق عليها..يخاف عليها من تلك الأفكار التي بدأت تخترق عقلها..الأمر مختلف بينهما..هو رجل وهي فتاة وقبل كل شيء هي أخته الصغيرة وأيضاً يريد لها مستقبلاً باهراً في الصحافة..لماذا لم تختر مواضيع المرأة بزينتها وملابسها كما تفعل أغلبية الصحفيات..بلا شك أنها مرحلة جديدة في حياتها وفي عمر الصحافة.

61

سهر ليلة رأس السنة مع أمه وشقيقته "وسام" في البيت يتابعون برامج التليفزيون واحتفالاته بهذه المناسبة..ظل ينظر إلى الدقائق القليلة في ساعة يده..ساعة العم "وسام" التي مازال يحتفظ بها يتعرف من خلالها على الزمن الحقيقي وليس الزمن الوهمي الذي يعيشه..سرعان ما دقت الساعة الثانية عشر..رحلت حقبة

الثمانينات وبدأت حقبة التسعينيات التي بدأت برقم مقفول 1990

سألته أمه في تلقائية:-

- هو أنت عندك كام سنة يا واد يا فريد.

قال وهو يتحسر على مرور الزمن:-

- أنا عندي واحد وأربعين سنة يا أمي.

ضحكت وقالت:-

- ياه ده أنت قديم أوي يا واد..أمال أخوك منير عنده كام وسمير عنده كام..والا انتي يا وسام.

قال وهو يضحك:-

- وسام لسة في سن الزهور..ياريت الزمن يرجع بيا لسنها..بس مش أيام النكسة..حاكم إنتي يا وسام اتولدتي سنة 1969 يعني بعد النكسة بسنتين.

ضحكت وسألته في تلقائية:-

- وأبيه منير وأبيه سمير مواليد سنة كام.

قال لها:-

- يا ستي أبيهك منير مواليد 1945 وأبيهك سمير اتولد سنة 1946.

وهمام ابن عمي مواليد 1944 والمرحوم تمام مواليد 1945 وبسام مواليد1946 اما نجاح مرات اخوكي سنة 1953

اكتأبت الأم وقالت:-

- ده أنا على كدة عجزت أوي..أنا ولدت منير وأنا عندي ستاشر سنة.

لاحظت "وسام" ما اعترى وجه أمها وقالت لترفع من روحها المعنوية:-

- ده أنتي لسة صغيرة يا ست الكل..بقى فيه حد يتجوز قبل ما يكمل ستاشر سنة.



"وسام" ابنة "سمير" و"نجاح" عُقد قرانها على زميل لها يعمل معها في البنك..من أسرة طيبة تمتد جذورها إلى إحدى قرى الشرقية..كانت فرحة للجميع..الأم وابنتها "وسام" و"فريد" و"منير"..وبالرغم من تغير موقف "همام" تجاه أخيه وابن عمه "سمير" إلا أنه كان سعيداً ولحق بالمهنئين وقال إليها في حنان شعرت أنها افتقدته في الفترة

الأخير:-

- شدي حيلك يا بنت أختي وهاتي لنا ولد والا بنت عشان أبقى جد.

قبلته وقالت في تأثر:-

- يارب يخليك ليا يا خالي..وانشاء الله إن ربنا رزقني بولد هاسميه همام.

وأقام "سمير" حفلاً كبيراً حضره الجميع..وكانت المرة الأولى التي يرى فيها "وسام" ابن "منير" "زينات"..تبادلا نظرات الإعجاب..ثم كان بينهما حوار عرف من خلاله "وسام" أن "زينات" في كلية الطب فدفعه ذلك على الانتهاء من دراسته ولاحظ "بسام" و"ابتسام" ذلك فكانا سعيدين..أما "منير" وزوجته وشقيقاهما شعروا بالقلق والضيق..حتى أن زوجة "منير" نهرت ابنها "وسام" وكادت تثار مشكلة أثناء الحفل..تأثر "وسام" وترك الحفل بعد أن احتد على أمه وأبيه.

63

انتهى "بسام" من بناء زاوية صغيرة باسم خالته وبنى بيتاً كبيراً

أشبه بالفيلا..تحيطه حديقة من جوانبه الأربعة..خصص الدور الأول للمخرطة والثاني له والثالث لشقيقته "نجاح" وزوجها "سمير".

ولم يتبق إلا إحضار ماكينات الخراطة على أحدث طراز..وقد اتفق مع "سمير" على عمل جلسة مع ""همام" لتصفية الشركة بينهم.

كان اللقاء جافاً وحاداً ومفاجئاً لــ "همام" الذي قال:-

- يا أهلا وسهلا بالاتفاق إذا كان ده هيريحكم.

قال "بسام" في هدوء:-

- يبقى لازم نتحاسب وكل واحد ياخد حقه.

رد "همام" قائلاً:-

- من عنيا يا أخويا يا ابن أمي وأبويا..هنجيب الأستاذ فوزي ونحسب الحسبة على أساس مبلغ التأثيث..اتناشر سهم بدأنا بيهم..كل سهم بألف جنيه أنا ليا عشرة وأنت وابن عمك ليكم اتنين.

قال "سمير" أيضاً في هدوء:-

- يعني رأسمال الشركة دلوقتي ثلاثة مليون جنيه..يعني نصيبي أنا وبسام نص مليون جنيه.

قال "بسام" مؤكدا:-

- ونفس النسبة لينا في الفيلا اللي انت قاعد فيها وفي البيت اللي بنيناه في الزقازيق.

احتد "همام" قائلاً:-

- لأ لحد هنا وكل واحد يقف عند حده..الفيلا والبيت دول من فلوسي.

قال "بسام" في حدة:-

- قصدك من أرباح الشركة اللي لينا حق فيها بالنسبة اللي انت حددتها.

قام "همام" باستدعاء "منير" تليفونياً فهو المسئول القانوني عن الشركة فحضر "منير" ووقف إلى جانب "همام"..فحدثت مشادة بينهم كادت أن تصل إلى حد التشابك بالأيدي.

في نفس اليوم أعلن خبر غزو العراق للكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠فكان العام بالرقم المقفول..قفلة في علاقات الأشقاء العرب.

ظل "فريد" وأخته "وسام" ساهرين بالجريدة في تلك الليلة لجمع المعلومات عن ذلك الغزو وعادا إلى البيت فجراً فلم يجدا أمهما مما أصابهما بالقلق البالغ..اتصل "فريد" بشقيقه "سمير" وشقيقه "منير" فلم يجدها عندهما ثم بدأوا الرحلة للبحث عنها في المستشفيات

وتوجهوا إلى قسم الشرطة للإبلاغ عن غيابها ولكن عليهم أن ينتظروامرور أربعة وعشرين ساعة.

تمت بحمد الله

٢أغسطس ٢٠٠٥

إلى اللقاء في الجزء الرابع:-

المحمول والستالايت

رقم الايداع
٢٠٠٥/٢٠٨٥٢

الكاتب في سطور

* عادل عبد المجيد القنصل.
* مواليد ١٩٤٩/٧/٢ الزقازيق.
* لواء شرطة سابق.
* حاصل على ليسانس الحقوق وليسانس الآداب لغات شرقية
* مؤلف بالإذاعة والتليفزيون و عضو اتحاد الكتاب.
* صدر له مجموعات قصصية:-

وابور أبو النور-قلعة صقر-جدي وجدتي-حياتنا-جلابية راشد-نقطة الصمت مأمورية زفاف عفاف-قيد المحضر ضد عفريت-مفاهيم محتاجة تفهيم ١،٢ على رصيف سيبس-نور الدين والكلب عنتر.

* روايات:-

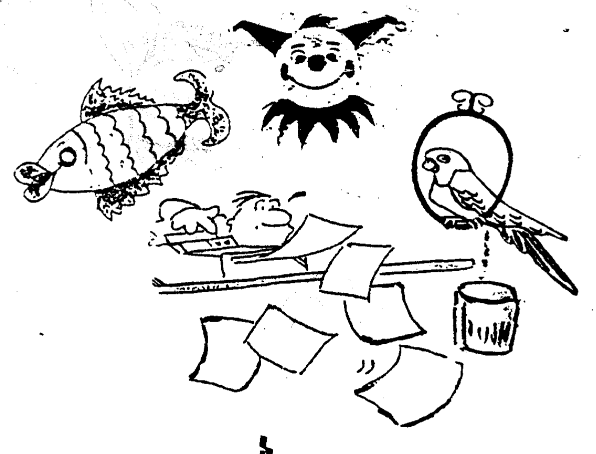
سجين زفتى-الولد رومانسي-عطر العرافة-البوابة-زهرة الفصول-أرنب سرق عمري-سقطة في زمن السيد ياغمور-جعفري وبديع العنتري أبناء العم وسام ١،٢ - الكشف-كمساري قطاع خاص-الحبل والقارب١

* قيد النشر:-

أبناء العم وسام ٤-أوراق نادرة-سمك لبن شيخ هندي-الحبل والقارب٢ م.صاوي الراوي١٩٩٥-صمام حربي.

بورسعيد حي ٦ أكتوبر ع٨٠ ش١٥

رقم الإيداع:- ٢٠٠٥/٢٠٨٥٢



"سمك.. لبن.. شيخ هندي"

الوجه الآخر لحقيقة الأشياء

فانتازيا

عادل القنصل